الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت –

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

فرع: دراسات أدبية تخصص: أدب حديث ومعاصر

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـ:

ظاهرة الاغتراب في شعر عز الدين المناصرة ومريد البرغوثي

إعداد الطالبتين:

– فتيحة رحو

– سالمة ربيعة

إشراف الأستاذ:

ـ مُحَّد مزيلط

أعضاء لجنة المناقشة:

د/ منصور مهيدي..... رئيسًا

أ/ محمد مزيلط ..... مشرفًا

د/ قدور بن مسعود ..... مناقشًا

السنة الجامعية: 1439هـ ـ 1440هـ / 2018م ـ 2019م.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت –

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

فرع: دراسات أدبية تخصص: أدب حديث ومعاصر

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـ:

ظاهرة الاغتراب في شعر عز الدين المناصرة ومريد البرغوثي

إعداد الطالبتين:

– فتيحة رحو

– سالمة ربيعة

إشراف الأستاذ:

ـ مُحَمَّد مزيلط

أعضاء لجنة المناقشة:

د/ منصور مهيدي..... رئيسًا

د/ محمد مزيلط ..... مشرفًا

د/ قدور بن مسعود ..... مناقشًا

السنة الجامعية: 1439هـ - 1440هـ / 2018م - 2019م.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

أما بعد

شغل موضوع الاغتراب العديد من الدراسات المختلفة الاجتماعية والنفسية، كما أنه شكّل موضوعا في الأجناس الأدبية شعرا ورواية، ولعل هذا الحضور المميز للظاهرة تقف وراءه أسباب عديدة. فالاغتراب ظاهرة إنسانية قديمة، تزامن ظهوره مع وجود الإنسان في هذا الكون، حيث كانت أولى علاماته خروج سيدنا أدم عليه السلام من عالم الجنة إلى الأرض برأي بعض الباحثين، وبهذا يظل الاغتراب حقيقة متصلة بالفرد في علاقاته بغيره.

وقد انعكس الاغتراب على مختلف الأجناس الأدبية لاسيما الشعر. والعائد لمختلف التجارب الشعرية الفلسطينية يجد أن مشاعر الاغتراب أهم المعالم البارزة فيها، جراء ما فعله الكيد الصهيوني بأبناء هذا الوطن. وإدراكا منا لأهمية هذا الموضوع، حاولنا تناوله بالتركيز على مختلف الأعمال الشعرية لشاعرين فلسطينيين، ولذلك وسمنا بحثنا ب: "ظاهرة الاغتراب في شعر "عز الدين المناصرة" و"مريد البرغوثي".

وهذا الموضوع ليس غريبا عن الباحثين، حيث تناولته العديد من الدراسات نذكر منها: "إبراهيم نمر موسى": (ذاكرة المكان وتجلياتها في الشعر الفلسطيني المعاصر)، "آلاء أحمد نعيم قرمان": (سرديات رام الله في الأدب الفلسطيني).

أما أسباب اختيارنا لهذا الموضوع تتمثل في أسباب ذاتية وأخرى موضوعية، أما الذاتية تكمن في ميلنا إلى الشعر العربي وخاصة المعاصر منه، وأما الموضوعية تتمثل في رغبتنا الكشف عن مدى تأثير القضية الفلسطينية في حضور الاغتراب لدى الشاعرين، وكذا محاولتنا بيان حضور الاغتراب في شعرهما الذي يتجاوز ظاهرة الغربة والحنين.

ويحاول بحثنا الإجابة على إشكالية أساسية تتلخص فيما يلي: كيف تجلت ظاهرة الاغتراب في شعر "عز الدين المناصرة" و"مريد البرغوثي"؟ ولعل الإجابة على هذه الإشكالية تقتضي الإجابة عن طائفة من الإشكاليات الفرعية منها: ما الاغتراب؟ ما هي مؤثراته وأنماطه؟ وما أهم أنماط الاغتراب في مدوناتهما الشعرية؟.

ولقد اعتمدنا في بحثنا على المنهج النفسي الذي كان سبيلنا في الكشف عن الاضطراب النفسي لكليهما، كما اعتمدنا المقارنة مع الوصف والتحليل من أجل تقصي أهم مظاهر هذه الظاهرة في شعرهما.

وللإجابة على هذه الإشكاليات أعددنا خطة بحث جاءت على النحو الآتي: مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

وسمنا الفصل الأول بـ: الاغتراب مفهومه، مؤثراته، أنماطه، اندرج تحته ثلاثة مباحث، حيث تطرقنا في المبحث الأول إلى الكشف عن مفهوم الاغتراب بجانبيه اللغوي والاصطلاحي والمسارات التي سلكها، وذكرنا في المبحث الثاني أهم مؤثرات الاغتراب ومظاهره ومآلاته، وخصصنا المبحث الثالث لأهم أنماط الاغتراب.

أما الفصل الثاني فعنوناه بـ: ظاهرة الاغتراب في الشعر العربي، تضمن ثلاثة مباحث، حيث لجأنا في المبحث الأول إلى رصد ظاهرة الاغتراب في الشعر العربي القديم، ووقفنا في المبحث الثاني على ظاهرة الاغتراب في الشعر العربي الحديث الذي مثله الشعر الرومانسي بمختلف حركاته الشعرية مدرسة الديوان ومدرسة المهجر بقسميها الرابطة القلمية والعصبة الأندلسية ومدرسة أبولو، ودرسنا في المبحث الثالث ظاهرة الاغتراب في الشعر العربي المعاصر الذي مثله الشعر الحر، حيث عملنا على انتقاء بعض التجارب التي تجلت فيها هذه الظاهرة.

أما الفصل الثالث التطبيقي جاء تحت عنوان تجليات الاغتراب بين "عز الدين المناصرة" و"مريد البرغوثي"، اشتمل على مبحثين، تناولنا في المبحث الأول الاغتراب في شعر "عز الدين المناصرة"، وفي المبحث الثاني الاغتراب في شعر "مريد البرغوثي"، وإضافة إلى هذين المبحثين اختتمنا الفصل بتركيب يضم التجربتين الشعريتين، لنخلص من خلاله أن كل من الحزن والألم والعناء كانوا أهم مظاهر الاغتراب في حياة هذين الشاعرين سواء كانوا داخل الوطن أو خارجه. وانتهى بحثنا بخاتمة احتوت على أهم النتائج التي توصلنا إليها حول هذا الموضوع.

كما استعنا بمجموعة من المصادر والمراجع في مقدمتها المدونات الشعرية لكل من الشاعرين "عز الدين المناصرة" و"مريد البرغوثي"، فضلا عن مراجع منها: "عبد اللطيف محمد خليفة": دراسات في سيكولوجية الاغتراب، "حليم بركات": الاغتراب في الثقافة العربية، "ريتشارد شاخت": الاغتراب، "لزهر مساعدية": نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، "يوسف رزوقة": عز الدين المناصرة شاعر المكان الفلسطيني الأول.

أما عن صعوبات البحث صعوبة موضوع الاغتراب كونه موضوع متشعب ومنفتح على أكثر من مجال معرفي، أدبي، نفسي، اجتماعي، ناهيك عن الاختلافات الكامنة لدى الباحثين في تسمياتهم لأنماط الاغتراب، بالإضافة إلى قلة الدراسات حول الشاعر "مريد البرغوثي" الذي لم ينل ما ناله الشاعر "عز الدين المناصرة" من البحث والدراسة.

وعرفانا بالجميل نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف "محمد مزيلط" الذي أعاننا في إنجاز هذا البحث بتذليل الصعوبات وتقديم النصائح والتوجيهات القيمة، فكل عبارات الشكر والامتنان لا توفيه قدر جهده، كما نتقدم بالشكر إلى أعضاء اللجنة المناقشة التي تحملت عناء قراءة هذا البحث من أجل تقيمه للارتقاء به إلى المستوى المطلوب.

فتيحة رحو

سالمة ربيعة

تيارت في: 04 / 07/ 2019م.

الفصل الأول

الاغتراب مفهومه، مؤثراته، أنماطه.

المبحث الأول: ماهية الاغتراب.

المبحث الثاني: مؤثرات الاغتراب.

المبحث الثالث: أنماط الاغتراب.

تمهيد:

أصبح العالم في دائرة صراع مع التطورات والتغييرات التي حصلت على مدار الزمن، حيث مست مختلف نواحي الحياة، محدثة خللًا على مستوى النظام الاجتماعي للأفراد، فنجد الإنسان يطغى على أخيه الإنسان ويسلب حقوقه، مما أحدث فارق بين أبناء المجتمع الواحد، وهذا ما أدى إلى الضياع والعجز، مما نجم عنه عدم انسجام الإنسان مع بيئته، لذلك يمكن تسميته بحالة الاغتراب، وهو موضوع بحثنا، وقبل التفصيل في حضوره في شعر "عز الدين المناصرة" و"مريد البرغوثي" لابدَّ من ضبط هذا المصطلح وتحديد ماهيته، حيث أن هذا الفصل يحاول الإجابة على مجموعة من الأسئلة في بداية المطاف. ما الاغتراب؟ وما السيرورات التي مرَّ بها قبل أن يكتمل كمصطلح معروف في الأدب وغيره من الحقول الأخرى؟

وإذا حاولنا الإجابة على هذه التساؤلات نجد بأن لهذا المصطلح معان مختلفة في كتابات الباحثين والدارسين، باعتبار أن الاغتراب يعد من أهم القضايا التي شغلتهم خاصة في مجال الدراسات الأدبية، وقد عكف على التنظير له منظرون غربيون على غرار "هيجل" و"كارل ماركس" و"إريك فروم".

وعليه سنحاول التطرق في هذا الفصل إلى البحث عن المسائل النظرية المتصلة بالاغتراب، بدءا بتحديد ماهيته، كما سنحاول البحث في الأسباب المفضية إليه، حيث تعددت أنماطه أيضا، وهذا ما يتمحور حوله هذا الفصل.

المبحث الأول: ماهية الاغتراب:

سنحاول في هذا المبحث بيان ماهية الاغتراب، بحيث لا يستقيم هذا المبحث دون تحديد المفاهيم الخاصة به، وعليه حظي مفهوم الاغتراب باهتمام بالغ من قبل المفكرين والمنظرين، وسنعرض أهم ما قدموه في هذا الشأن.

1 الاغتراب لغة:

أ الاغتراب في اللغة العربية:

ورد مصطلح "غرب" في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي: «التَّمادى، وهو اللَّجاجَةُ في الشَّيء. والغُرْبَةُ: الاغتِرابُ من الوَطَن. وغَرَبَ فلانٌ عَنَّا يَغْرُبُ غَرْبًا، أيْ تَنَحَّى، وأَغْرَبْتُه وغَرَّبْتُه، أي نَحَّيْتُه، والغُرْبَةُ: النَّوَى البعيد، يقال: شَقَّتْ بهم غُرْبَةُ النَّوَى. وأَغْرَبَ القومُ: انتَوَوا. وغايةٌ مُغرِبةٌ، أي بعيد الشَّأوِ»[1].

أما في معجم لسان العرب لابن منظور "الغَرْب" هو: «الذهاب والتنحي عن الناس، وقد غَرَبَ عنا يَغْرُبُ غَرْبًا، وغَرَّبَ، وأغْرَبَ، وغَرَّبَه، وأَغْرَبه: نَحَّاه. الغُربة والغَرْبُ: النَّوَى والبُعْد، والنُّزُوحُ عن الوَطَن والاغْتِرابُ؛ افتِعال من الغُرْبة، وأَغْرَبَ الرجلُ: صار غريبًا»[2].

1 الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، تح: عبد الحميد هنداوي، مج 3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2003م، ص 270 271.

2 جمال الدين بن هشام بن منظور: لسان العرب، ج 10، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 2، 1997م، ص 32 33.

وجاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: «الغرب حَدُّ الشَّيء. والغُرْبة: البُعد عن الوطن، يقال غَرَبَت الدَّار. ومن هذا الباب: غُروب الشَّمس، كأنَّه بُعْدُها عن وجه الأرض. وشأوٌ مغَربٌ، أي بعيد»[3].

من خلال اطلاعنا على المعاجم العربية المتمثلة في كل من معجم العين ولسان العرب ومقاييس اللغة لتحديد المصطلح، فإننا نجد كلمة اغتراب في تحولاتها لم تبتعد عن دلالة النأي عن الموطن والابتعاد عن الناس، والمتمعن في أصول هذه الكلمة يجد تشابها في تفصيل وشرح معناها.

ب الاغتراب في اللغة الأجنبية:

مصطلح الاغتراب في أصله اللاتيني هو: « Alienatio، ويستمد هذا الاسم معناه من فعل Alienare بمعنى تحويل شيء ما لملكية شخص آخر أو الانتزاع أو الإزالة وهذا الفعل مستمد بدوره من فعل آخر هو Alienus أي ينتمي إلى شخص آخر أو يتعلق به، وهذا الفعل الأخير مستمد بصفة نهائية من لفظ Alinus الذي يعني الآخر سواء كاسم أو كصفة»[4]. وعليه يشير مفهوم مصطلح الاغتراب إلى نقل الملكية وانتزاعها من صاحبها الشرعي، ليصبح بذلك محروم منها ليس له أي حق فيها.

3 أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج 4، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 1979م، ص 420 421.

4 ريتشارد شاخت: الاغتراب، تر: كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1980م، ص 63.

لقد اشتمل هذا المصطلح على معان منها:

الاغتراب بمعنى نقل الملكية:

يشير هذا المعنى إلى: «نقل ملكية شيء ما إلى شخص آخر والقيام بذلك يعني حرفيًا، جعل شيء ما منتميًا إلى شخص آخر»[5].

الاغتراب بمعنى الاضطراب العقلي:

يتمثل معناه في أنه: «يتعلق بحالة فقدان الوعي وشلل أو قصور القوى العقلية أو الحواس لدى المرء»[6].

الاغتراب بمعنى الغربة بين البشر:

يدل معناه على أنه: «التسبب في فتور علاقة ودية مع شخص آخر أو في حدوث انفصال أو جعل شيء ما مكروهًا»[7].

يدل مفهوم مصطلح الاغتراب في اللغة الأجنبية على عدة معان، فنجده يحمل معنى نقل الملكية إلى الآخر بالإجبار، إضافة إلى أنه حالة من اضطراب عقلي التي يعاني منها الفرد، كما يعني غربة الفرد وهو موجود بين أفراد مجتمعه.

5 ريتشارد شاخت: الاغتراب، تر: كامل يوسف حسين، ص 63 64.

6 المرجع نفسه، ص 64.

7 المرجع نفسه، ص 65.

وعليه نستنتج من خلال تطرقنا لمفهوم مصطلح الاغتراب في اللغتين اللغة العربية واللغة الأجنبية، لا تبتعد استخداماته عن انفصال الإنسان عن مجتمعه وممتلكاته.

2 الاغتراب اصطلاحا:

يعد مفهوم مصطلح الاغتراب من بين المفاهيم المتصفة بالغموض، باعتبار أنه يحمل العديد من الدلالات، وبالرغم من كثرة الأبحاث حول هذا المفهوم، إلا أننا لا نكاد نلتمس تعريفا شاملا له، وعليه يمكن القول أن الاغتراب يعني: «انعدام السلطة والانخلاع، والانفصام عن الذات، و«الأنوميا*» Anomie، والاستياء أو التذمر والعداء، والعزلة، وانعدام المغزى في واقع الحياة والإحباط»[8]، حيث تصبح حياة الإنسان في ظل الاغتراب قريبة من العبثية، وبالتالي ينعزل عن كل شيء محيط به، حتى عن نفسه.

3 مسارات مفهوم الاغتراب:

مرّ مفهوم مصطلح الاغتراب بمراحل ففي كل مرحلة يضفي العديد من المفكرين والفلاسفة عليه صبغة جديدة، وعليه «قد عرض محمود رجب لتاريخ مصطلح الاغتراب والمسار الذي سلكه هذا المصطلح حتى ما وصل إليه الآن من شيوع وانتشار في حياتنا

* **الأنومي:** ظهر مصطلح الأنومي في اللغة الإنجليزية عام 1591م تقريباً، والأصل الإغريقي لهذا المصطلح هو (Nomos) ويعني: الموقف الذي تتحطَّم فيه المعايير الاجتماعيّة المنظمة لسلوك الفرد، إذ تصبح هذه المعايير غير مؤثِّرة ولا تؤدِّي وظيفتها كقواعد للسلُّوك، نقلا عن: كايد هشام: الشباب العربي في المهجر، مراجعة: همام غصيب، منتدى الفكر العربي، عمان، الأردن، ط 1، 2008م، ص 22.

8 قيس النوري: الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، مج 10، ع 1، وزارة الأعلام، الكويت، 1979م، ص 13.

الثقافية المعاصرة. وقد قسم مسيرة المصطلح إلى ثلاث مراحل»[9]، حيث تتعلق هذه المراحل ب: "هيجل" (Hegel) (1770م 1831م) فهو يمثل فيصلا بينهما، ولذلك نميز بين مفهوم الاغتراب قبل "هيجل" وعند "هيجل" وبعد "هيجل".

أ المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل هيجل:

اختلفت دلالة مصطلح الاغتراب في هذه المرحلة حيث أنه «يحمل معاني مختلفة تكمن في سياقات ثلاثة هي: السياق القانوني (بمعنى انتقال الملكية عن صاحبها وتحولها إلى آخر)، والسياق الديني (بمعنى انفصال الإنسان عن الله)، والسياق النفسي الاجتماعي (بمعنى انتقال الإنسان عن ذاته ومخالفته لما هو سائد في المجتمع)»[10]، وعليه تنوعت سياقات هذا المصطلح من قانونية ودينية ونفسية، تتجلى في حدوث عدم الانسجام في علاقات الإنسان مع الآخر ومع خالقه ومع مجتمعه.

وإذا عدنا إلى المفاهيم التي قدمها الفلاسفة قبل "هيجل" حول هذا المصطلح، نجد "توماس هوبز" (Thoms Hobbs) (1588م 1679م) عمل على التمييز بين حالتين من يكون عليها البشر: حالة طبيعية وحالة مدنية، ولتميز الحالة الطبيعية بالحروب والبقاء فيها للغالب يتنازل الفرد عن حقوقه، وهذا ما يقوده نحو الاغتراب ، فيرى «أن التخلي، التنازل، الانفصال عن الحق الفردي، وتحويله إلى وجود اجتماعي، خارجي بالنسبة للأفراد هو alienation من حيث المحتوى. ونقول من حيث «المحتوى» لأن هوبز لا

9 عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2003م، ص 21.

10 المرجع نفسه، ص 21.

يستخدم تعبير الألينة مباشرة لوصف التخلي عن الحق أو التنازل عنه، أو الانفصال عنه، أو نقله إلى آخر حكومة (عاهل)، بل يستخدم تعابير لغوية أخرى مثل: renounce، devest أي ينبذ، يتنازل، كما يستخدم تعبير transfer the right نقل الحق»[11]، وعليه تمثل مفهوم الاغتراب عند هذا الفيلسوف في تخلي الفرد عن حقوقه بالرغم عنه لصالح الجماعة، على الرغم من أنه لم يصرح مباشرة بمفهوم الاغتراب.

كما نجد "جان جاك روسو" (Jaen Jacques Rousseau) (1712م 1778م) له رؤيته الخاصة حول هذا المفهوم، فيرى بأن المنظومة الاجتماعية شكلت سببا في حرمان الفرد من حريته، وهذا ما جعله مغتربا، يقول: «يولد الإنسان حرًّا، ويوجد الإنسان مقيَّدًا في كل مكان، وهو يظن أنه سيد الآخرين، وهو يظل عبدًا أكثر منهم»[12]، وقد ميز بين مفهومين لمصطلح الاغتراب «ففي غياب العقد ثمة اغتراب قسري، وفي حالة الحضور ثمة اغتراب طوعي، رغم وجود الضرورة في الحالتين: الأولى ضرورة الرضوخ للتعسف الخارجي، والثانية ضرورة الحفاظ على المجتمع»[13]، حيث تتجلى نظرته لهذا المفهوم ما بين الإيجابية والسلبية، والهدف منه بصفة عامة المحافظة على المجتمع.

11 فالح عبد الجبار: المقدمات الكلاسيكية لمفهوم الاغتراب، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ط 1، 1991م، ص 13.

12 جان جاك روسو: العقد الاجتماعي، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د ط، 2012م، ص 23.

13 فيصل عباس: الاغتراب الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، دار المنهل اللبناني، لبنان، د ط، د ت، ص 32.

ب المرحلة الثانية: المرحلة الهيجيلية:

اتفق معظم الباحثين في هذه المرحلة على أن «هيجل هو أول من استخدم في فلسفته مصطلح «الاغتراب» استخداما منهجيا مقصودا ومفصلا»[14].

ومن هذا المنطلق عرف الاغتراب على أنه «حالة اللاقدرة أو العجز التي يعانيها الإنسان عندما يفقد سيطرته على مخلوقاته ومنتجاته وممتلكاته، فتُوظّف لصالح غيره بدل أن يسطو هو عليها لصالحه الخاص. وبهذا يفقد الفرد القدرة على تقرير مصيره والتأثير على مجرى الأحداث التاريخية بما فيها تلك التي تهمّه وتسهم بتحقيق ذاته وطموحاته»[15]، يتضح مما تقدم أن الاغتراب حالة سيكولوجية يعاني منها الإنسان نتيجة عدم قدرته على السيطرة على عالمه المادي (منتجات، ممتلكات...)، وتصبح هي مالكة له ومؤطرة لحياته لا هو مسطرة لها لصالحه، والاغتراب محاولة استلاب الإنسان، فيفقد قيمته الإنسانية.

كما نجد "هيجل" عبر عن حالة الاغتراب بأنها: «(١) تموضع (تجسد في موضوع) (٢) تحوّل إلى آخر (٣) فقدان الطابع الكلي (في الجزئية، في المفرد) (٤) الانسلاب»[16]،

14 محمود رجب: الاغتراب "سيرة مصطلح"، دار المعارف، القاهرة، ط 4، 1993م، ص 9.

15 حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 2006م، ص 37 .38

16 فالح عبد الجبار: المقدمات الكلاسيكية لمفهوم الاغتراب، ص 46.

ومن هنا يتبين أن الاغتراب عنده هو حالة من التحول إلى الآخر، فتسلب حقوق الإنسان وتأخذ طريقها خدمة للعامة.

ج المرحلة الثالثة: مرحلة ما بعد هيجل:

اختلفت أراء الباحثين في هذه المرحلة نتيجة للتغييرات الطارئة على هذا المصطلح، «حيث بدأت تظهر النظرة الأحادية إلى مصطلح الاغتراب، أي التركيز على معنى واحد هو المعنى السلبي تركيزًا طغى على المعنى الإيجابي، حتى كاد يطمسه، حيث اقترن المصطلح في أغلب الأحوال بكل ما يهدد وجود الإنسان وحريته»[17]، وعليه تغير معنى مصطلح الاغتراب، فأصبحت له جوانب سلبية في هذه المرحلة شكلت خطرا على حياة الإنسان، كما أنها تهدد استمرارية وجوده.

وإذا حاولنا تتبع معنى هذا المصطلح وفقا لأراء الفلاسفة نجدها مختلفة باختلاف وجهة نظر كل واحد منهم، لذلك اخترنا البعض منهم:

يعد "كارل ماركس" (Karl Marx) (1818م 1883م) من أبرز الفلاسفة الذين جاؤوا بعد "هيجل"، حيث أبدى إعجابه به في بداية دراساته، لكنه تحول ضدَّه والسبب يعود إلى« المنطلق التجريدي (الفكر) الذي تقوم عليه الفلسفة الهيغيلية. وبالتالي فهي تغفل حسبه الواقع وعالم الواقع (الأساس المادّي) حيث يقبع الإنسان الواقعي والحقيقي، ممّا جعل تاريخ الإنسانية كلّه بل وتاريخ العالم هو تاريخ الفكرة المغتربة عن ذاتها لا غير.

17 عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص 22.

وهو ما أدّى إلى نقطة الخلاف بينهما»[18]، فقوام الفلسفة الهيجيلية على الفكر جعلته يهمل الجانب المادي للإنسان وهذا ما جعل "كارل ماركس" يسير في تيار معاكس ضدّه.

وعليه قدم "ماركس" عناية خاصة بالمصطلح، فالاغتراب عنده يتمثل في «فقدان العلاقة العضوية بين البشر: ببعضهم البعض وبينهم وبين الطبيعة»[19]، ويعني به بأنه عامل في نزع العلاقات بين أفراد المجتمع، كما ظهر الاغتراب عنده على أنه «نمط إنتاج الحياة الماديّة (ظروف الإنتاج) في مجتمع سمته الملكية الخاصّة لوسائل الإنتاج، هو المسؤول المباشر عن تحوّل عامة الناس (الطبقة الكادحة) إلى مجرد أشياء تابعة للأشياء الماديّة الأخرى. وهو ما يشعرهم بالغربة تجاه ذواتهم وتجاه عالم الأشياء الذين يشكلونه هم أنفسهم»[20]، حيث وجه تركيزه على هذه الظاهرة من خلال اغتراب العامل، فيجد نفسه مرغما على القيام بأعمال لن تكون خدمة لصالحه، فيصبح العامل في مرتبة الأشياء، فهو مثله مثل الشيء المادي لا يختلف عنه، وهذا ما جعله منفصلا عن ذاته وعن عمله، فبدل أن يسيّر العامل وسائل الإنتاج أصبحت وسائل الإنتاج تسيّر العامل.

كما نجد "لودفيغ فيورباخ" (Ludwing Feuerbach) (1804م 1872م) خالف "هيجل"، حيث اهتم بظاهرة الاغتراب على أن «الدين هو نوع من اغتراب الإنسان عن نفسه، أي الاغتراب الذاتي. بذلك يتصرّف الإنسان واضعًا نفسه تحت سيطرة مخلوقاته التي قد تتحكّم به بدلًا من أن يتحكّم بها، فيتحوّل الخالقُ أي الإنسان إلى مخلوقٍ،

18 وابل نعيمة: الاغتراب عند كارل ماركس، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2013م، ص 8 9.

19 سيد بحراوي: علم اجتماع الأدب، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط 1، 1992م، ص 25.

20 المرجع السابق، ص 9.

والمخلوقُ (وهو في هذه الحالة الله أو الكنيسة) إلى خالقٍ»[21]، فيرى أن الاغتراب يكمن أساسا في الدين من خلال السيطرة، وهذا ما يؤدي به إلى الاغتراب عن ذاته، فيصبح الإله رمزا للكمال والإنسان رمزا للشر.

أما "إريك فروم" (Erich Fromm) (1900م 1980م) سلك منهج "كارل ماركس" في مفهومه للاغتراب، حيث تطرق في كتابه "السوي" إلى تعريف الاغتراب بأنه « نمط من التجربة التي يعيش فيها الإنسان كغريب، ويمكننا القول إنه أصبح غريبًا عن نفسه، إنه لم يعد يعيش نفسه كمركز لعالمه وكخالق لأفعاله بل أن أفعاله ونتائجها تصبح سادته الذين يطيعهم، أو الذين حتى قد يعبدهم»[22]، نستخلص من هذا التعريف بأن الإنسان كان سيدا لأفعاله، لكن أصبحت الأعمال هي التي تسيره، حيث تحول إلى عابد لها، وكل هذا نتيجة شعوره بالاغتراب.

من خلال تطرقنا للمسارات التي سلكها مفهوم مصطلح الاغتراب، نجد تنوع دلالاته بين الإيجابية والسلبية في بداية مراحله، إلا أنه اتخذ دلالات سلبية في نهاية هذه المراحل، فالاغتراب عند هؤلاء الفلاسفة لم يكن موحدًا فلكل فيلسوف مفهومه الخاص ورؤيته الخاصة له تختلف رؤية الفيلسوف الذي يأتي بعد، بالرغم بأن هنالك اشتراك في بعض الرؤى للفلاسفة حول مفهومه.

21 حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، ص 38.

22 حسن حماد: الإنسان المغترب عند إريك فروم، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، مصر، د ط، 2005م، ص 59 - 60.

4 الاغتراب والاستلاب:

أُستخدم مصطلح الاغتراب بعدة معان، حيث عُرِّف على أنه استلاب، فقد أُشير في موسوعة لالاند الفلسفية أن المغترب «هو الذي لا يملك ذاته»[23]، وقد ورد في المعجم الفلسفي أن «الإنسان يضيع نفسه عندما يصبح غريبًا عنها، أي عندما يفقد حريته، ويصبح مصهورًا في مجتمع لا يعترف بأي استقلال ذاتي...لأن غربة النفس استلاب حريتها»[24]، أما في معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية فقد ذكر الاغتراب عموما على أنه «حالة من يكون ملكا لشيء آخر غيره، ويمكن تتبّع مصادر فكرة الاستلاب (أو الاغتراب) إلى مفكّري عصر التنوير بفرنسا»[25].

يتبين من خلال هذه المفاهيم أن مصطلح الاغتراب يحمل نفس دلالة مصطلح الاستلاب، وفي هذا الإطار ذكر "فالح عبد الجبار" أن «استلاب أو اغتراب الإنسان عن نشاطه، وعن منتوجات هذا النشاط، واغتراب الإنسان عن الإنسان، واستلاب ماهيته كجنس بشري على السواء»[26].

23 أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، ج 1، منشورات عويدات، بيروت، ط 2، 2001م، ص 43.

24 جميل صليبا: المعجم الفلسفي،ج 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د ط، 1982م، ص 765.

25 جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، د ط، 2004م، ص 36 - 37.

26 فالح عبد الجبار: الاستلاب هوبز، لوك، روسو، هيغل، فيورباخ، ماركس، دار الفارابي بيروت، لبنان، ط 1، 2018م، ص 12.

نستنتج من خلال ما سبق ذكره أن مصطلح الاغتراب له علاقة بمصطلح الاستلاب، فالاغتراب والاستلاب هما وجهان لعملة واحدة.

5 الغربة والاغتراب:

يرى الدارس لهذين المصطلحين الغربة والاغتراب منذ الوهلة الأولى أنها مصطلحات متشاكلة ومتطابقة ومترادفة، إلا أن كل مصطلح يحمل معنى يختلف عن المعنى الذي يليه، فالغربة هي «حالة الابْتعاد عن مَلاعب الفُتوَّة، وديار الأَحبَّة»[27]، فترتبط بالمكان، وهي شكل من الأشكال التي تؤدي إلى الاغتراب.

أما الاغتراب «يمثل نزوحا من نوع آخر حتى ولو كان يعيش الإنسان في الوطن، فهو يرفض أشياء ويتحدّها، ويختلف مع أكثر من أسلوب يُسَيْطر على الحياة، وإذا كان في بعض الأحيان لا يملك إلا الصمت، فإنه في أحيانٍ أخرى لا يملك إلا أن يصرخ، أو يبوح أو يئن..مع إحساس ضاغط بأن العالم من حوله لا يحسّ به، ولا يُصْغي للصّراخ، والْبَوحْ والأنين!! وفي ضوء هذا يحسّ بالاختناق، وبعدم القُدْرة على ما يسميه الفلاسفة (بالتَّخارج)، ويكون جهده هو التأسِّي بالأوْجاع القديمة»[28]، وعليه إذا كانت الغربة تشكل انفصال الفرد عن الوطن، فإن الاغتراب يشكل انفصال الفرد داخل الوطن سواء عن نفسه أو عن مجتمعه.

27 جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1979م، ص 186.

28 عبده بدوى: الغربة والاغتراب..والشعر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 1998م، ص 8 - 9.

يمكن القول على هذا المبحث بأننا حاولنا تقديم مفاهيم لمصطلح الاغتراب، فقد عرف هذا الأخير بالعديد من المفاهيم، ولكل فيلسوف مفهومه الخاص به، له عدة تسميات من بينها الاستلاب، يختلف عن مفهوم الغربة، إلا أن معناه لا يتجاوز الانفصال عن الذات وعن الظروف المحيطة بها.

المبحث الثاني: مؤثرات الاغتراب:

تعتبر ظاهرة الاغتراب من أهم الظواهر التي طبعت المجتمعات الإنسانية عبر مساراتها التاريخية، ولاشك أن من وراء الاغتراب أسباب مختلفة ومؤثرات عديدة، شملت المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، وحتى الحياة النفسية للفرد، محدثة اختلالات في نمط حياته، ومن بين هذه المؤثرات ما يلي:

1 مؤثرات اجتماعية:

لاشك أن الجانب الاجتماعي له دور مهم في حدوث ظاهرة الاغتراب، فعدم انسجام الفرد مع المجتمع وعن قيمه وقيم الجماعة الوجه الأبرز للاغتراب الاجتماعي، ولعل من أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور الاغتراب تكمن في «ضغوط البيئة الاجتماعية والفشل في مواجهة هذه الضغوط وتلك المطالب، وسيادة التفرقة واللامساواة، والقهر والاستبداد والأتوقراطية»[29]، كلها عوامل جعلت الفرد يخضع لقيم ومعايير المجتمع مهما كانت إنسانية أو غير إنسانية.

29 إجلال محمد سرى: الأمراض النفسية والاجتماعية، عالم الكتب نشر. توزيع. طباعة، القاهرة، ط 1، 2003م، ص 127.

وباعتبار «أن المجتمع استبدادي يتحكم في سلوك الناس وحاجاتهم وأفكارهم ويعمل على كبح رغباتهم، ولا يسمح لهم بالرفض والمعارضة إلَّا رياءً أو لمامًا»[30]، لذلك يعمل على جعل الفرد يرضخ لقوانينه وأحكامه دون السماح له بالاعتراض.

ومن بين الأسباب الاجتماعية التي جعلت الفرد يبتعد ويغترب عن مجتمعه هو التطور الذي يشهده المجتمع مع مرور الوقت، حيث «أن هذا التطور يتميز بالتناقض الحاد الذي يوجده بين المجتمع في حالة اكتماله وبين النوع الإنساني في حالة اغترابه»[31]، فكلما تطور المجتمع وتقدم، كلما اغترب الفرد عنه، فيصبح يسير في حركة انعكاسية متناقضة مع مجتمعه.

2 مؤثرات نفسية:

تعتبر معرفة الذات أهم خطوة في الحياة حتى تمكن له من تحقيق طموحاته والانسجام مع مجتمعه، لكن ماذا عن الشخص الذي ينفصل عن ذاته ويغترب عنها؟ حيث أصبح الإنسان يعاني من عدم تقبله لذاته ومن سوء التكيف مع محيطه، وهذا راجع إلى الأسباب التي أدت إلى ظهور الاغتراب على أن «مصدره اختلاف معادلة طموحات الشخص عن معادلة إمكاناته فغاية كل إنسان عندها هي السيطرة والتفوق فإذا لم تمكنه قدراته من

30 سعاد عبد الوهاب العبد الرحمان: الاغتراب في الشعر الكويتي، حوليات كلية الآداب، الحولية الرابعة عشر، جامعة الكويت، الكويت، د ط، 1994م، ص 32.

31 عبد القادر عبد الحميد زيدان: التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، د ط، 2002م، ص 11.

تحقيق ما خلق به فإنه يغترب وقد ينطوي أو ينحرف»[32]، وهذا ما يقوده إلى عدم التوازن في حياته، ويدخل في دوامة صراع بينه وبين ذاته يصعب له الخروج منها.

ومن بين مسببات الاغتراب النفسية تكون «نتيجة الإحباطات Frustrations التي تلتف حوله من كل جانب من جراء التغيرات التي يتعرض لها ويواجهها في حياته والتي كثيرًا ما يشعر حيالها بالضعف والضآلة وقلة الحيلة وهنا يشعر الشخص بخيبة الأمل ويميل إلى التواري والانعزال أو يسلك سلوكًا تعويضيًا شاذًا في تحد صارخ للمجتمع وفي كلتا الحالتين يكون غريبًا»[33]، فعدم قدرة تقبل النفس الإنسانية على التغييرات الحاصلة والغير المناسبة لمرادها جعلها تنسحب وتنطوي على ذاتها، وهذا ما يتركها تتخبط في ظلمة الوحدة.

3 مؤثرات سياسية:

شهدت الحياة السياسية تطورا ملحوظا، غير أنها لم تستقر على حال واحدة، لعدم توازن الأوضاع في مختلف المجتمعات، خاصة عندما تسلب حقوق الفرد السياسية، فيظهر «التمرد السياسي عادة ما يحدث عندما يصبح الناس عاجزين أو غير راغبين في المشاركة السياسية في المجتمع أو التنظيمات السياسية، وذلك لضعف العلاقات الاجتماعية والعجز عن الانتماء»[34]، وعليه يعد التمرد أحد أهم المظاهر الناجمة عن

32 سليمان عبد الواحد إبراهيم: الشخصية الإنسانية واضطراباتها النفسية رؤية في إطار علم النفس الإيجابي، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2014م، ص 190.

33 المرجع نفسه، ص 190.

34 عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص 99.

اغتراب الفرد عن سياسة بلده، حيث يلجأ إليه تعبيرا عن منعه من ممارسة حقوقه وواجباته السياسية خاصة وأن الممارسات السياسية متاحة لجميع أفراد المجتمع.

فيصبح المغترب السياسي متصف بالعديد من الصفات لعل من أهمها: «سلوك التبلُّد، وعدم التصويت في الانتخابات، والوعي بالسلطة، والعجز السيّاسيّ، وفقدان المعنى السيّاسيّ والعزلة السيّاسيّة، والأنومي، والثقة السيّاسيّة، والثقة في الأخرين، والاستياء، واليأس، وانعدام المعيار السيّاسيّ، واللامبالاة السيّاسيّة»[35]، فهذه السلوكات توحي إلى أنه فرد محروم من ممارسة حقه السياسي، فحضوره أو غيابه في الحياة السياسية لا يعني له شيئا، وهكذا ينزاح تدريجيا عن مجتمعه وسياسة وطنه.

مما ذكر سابقا دفعت العديد من الأسباب الفرد للانعزال عن ذاته ومجتمعه وسياسة بلده خاصة تلك التي ارتكبت ظلمًا في حقه، ليجد نفسه مقحما داخل عالم الاغتراب بعيدا عن كل ما يحيط به.

4 مظاهر الاغتراب:

باعتبار أن الاغتراب من أهم الظواهر التي عاشتها المجتمعات الإنسانية من العصر القديم وحتى العصر الحديث، نجده سببا في العديد من الأزمات النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، لذلك تجلى تحت هذا المصطلح العديد من المظاهر التي تطرق إليها مختلف الباحثين والدارسين، فكل حسب رأيه ورؤيته لها إلا أنها ذات بعد دلالي

35 كايد هشام: الشباب العربي في المهجر، ص 22.

واحد، وعليه ظاهرة الاغتراب لها تجليات تظهر على سلوك الإنسان المغترب وتحمل طابعا سيكولوجيًا، ولقد حاولنا استقصائها من خلال المظاهر الآتية:

أ العجز: Powerlessness:

لاشك أن الإنسان في حياته اليومية يتعرض للعديد من الانتهازات في حقه من طرف مجتمعه، فيختلج صدره العديد من المشاعر السلبية، ويصبح غير قادر على مواجهتها وهذا ما يسمى بالعجز «فهو شعور الفرد بأن لا حول له ولا قوة، ولا يستطيع التأثير في المواقف الاجتماعية التي يواجهها، ويعجز عن السيطرة عن تصرفاته وأفعاله ورغباته، ولا يستطيع أن يقرر مصيره، ومن ثم يعجز عن تحقيق ذاته أو يشعر بحالة الاستسلام والخنوع»[36]، يدل هذا المظهر على عجز الإنسان حتى في تقرير مصير حياته، فيجد نفسه مكتوف الأيدي نتيجة للضغوط الممارسة عليه، وهذا ما يؤدي به إلى الضياع وفقدان السيطرة على الظروف المحيطة به.

ب اللامعنى: Meaninglessness:

إن أعمال الإنسان ليست اعتباطية وإنما هي ذات مقاصد ومعان واضحة، وأهداف يرمي إلى تحقيقها، وغياب ذلك كله يمكن نعته باللامعنى، وهو ما ترتب عنه الشعور بالاغتراب، حيث يشعر بأن حياته لا معنى لها في الأساس، فاللامعنى «هو توقع الفرد أنه لن يستطيع التنبؤ بدرجة عالية من الكفاءة بالنتائج المستقبلية للسلوك، كما يقول (سيمان)، فالفرد يغترب عندما لا يكون واضحًا لديه ما يجب أن يؤمن به أو يثق فيه،

36 يحي الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، دار مجدلاوي، عمان، ط 1، 2008م، ص 18.

ولذلك يرى الإنسان المغترب أن الحياة لا معنى لها، لأنها تسير وفق منطق غير مفهوم وغير معقول، ومن ثم يعيش حياة التفاهة واللامبالاة»[37]، وبالتالي يصبح يسير في هذه الحياة فاقدا معناها ولذتها، مما يجعله يمارس تصرفات عبثية لا معنى لها.

ج اللامعيارية: Normlessness:

لكل مجتمع أسس ومعايير تحكمه وتسيره، يعتبرها الإنسان مناهج يسير عليها حياته للوصول إلى مبتغاه، لكن ما إن ظهرعليها تغييرات تغيرت سلوكات الأفراد فأصبحت «الحالة التي يتوقع فيها الفرد بدرجة كبيرة، أن أشكال السلوك التي أصبحت مرفوضة اجتماعيًا، غدت مقبولة تجاه أية أهداف محددة، أي أن الأشياء لم يعد لها أية ضوابط معيارية، ما كان خطأ أصبح صوابًا، وما كان صوابًا أصبح ينظر إليه باعتباره خطأ من منطلق إضفاء صبغة الشرعية على المصالحة الذاتية للفرد وحجبها عن المعايير وقواعد وقوانين المجتمع»[38]، نتيجة لاختلال التوازن في المعايير المؤطرة للمجتمع وذلك خدمة لمصلحة الفرد على حساب الجماعة، فكل ما كان منبوذا في المجتمع أصبح مقبولا، ونظر إلى الحق أنه باطل وإلى الباطل أنه حق، ونجد أن المعيارية أشبه باللامنطقية، فالعلاقات داخل المجتمع والأعراف تخضع لمنطق واحد غير مختلف فيه، وغياب هذا المنطق يوصف باللامعيارية، فاللامعيارية هي التي تفضي للاغتراب وهي مظهر تجلٍ من تجلياته، فالسقوط فيها والخضوع لها هو مظهر آخر من مظاهر الاغتراب.

37 يحي الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، ص 18.

38 المرجع نفسه، ص 18 19.

.

د العزلة الاجتماعية:Social Isolation:

تعد العزلة الوجه الأبرز الذي يتجلى من خلاله الاغتراب، ويتجلى هذا المظهر في شعور الفرد بالانفصال عن الآخرين، والإحساس بعدم الانتماء إليهم، ويراد بها «عدم الاندماج النفسي والفكري، وهو نوع من الانفصال عن المجتمع وثقافته كنتيجة لانعدام التكيف الاجتماعي أو لضآلة الدفء أو لضعف الاتصال الاجتماعي للفرد»[39]، وعليه يصبح الفرد يعاني من تجرد مستمر في علاقته مع مجتمعه، ويؤدي به إلى الانفصال عن الاتصال الاجتماعي، مما يدخل في حالة اغتراب عنه.

ه اللاهدف: Aimlessness:

يشكل الفرد ذاتًا فعّالة في المجتمع، فنجده يرسم لحياته أهدافا يود تحقيقها، لذلك يعمل على تكريس جميع مجهوداته من أجل الظفر بها، لكنها تتحطم بسبب القمع والتسلط الاجتماعي، حيث أنه «يرتبط اللاهدف ارتباطًا وثيقًا باللامعنى، ويقصد به شعور المرء بأن حياته تمضي دون وجود هدف أو غاية واضحة، ومن ثم يفقد الهدف من وجوده ومن عمله ونشاطه وفق معنى الاستمرار في الحياة»[40]، فتتخلى هذه الذات عن أهدافها، وهذا من طرف الضغوطات الممارسة عليه، فتصبح حياتها بدون جدوى ولا فائدة، وليس فيها مجال للنفع والانتفاع بها.

39 محمد حسن غانم: التحليل النفسي للأدب دراسة نفسية في ملحمة الحرافيش لنجيب محفوظ، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط 1، 2004م، ص 77.

40 عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص 42.

و التمرد: Rebelliousness:

هيمن المجتمع على الفرد بقوانينه الصارمة والمطبقة على البعض منهم، فأراد هذا الأخير الخروج من المألوف إلى اللامألوف، وأن يدافع على حقوقه ومحاولة استرجاعها، وعليه فالتمرد «يقصد به شعور الفرد بالبعد عن الواقع، ومحاولة الخروج من المألوف والشائع، وعدم الانصياع للعادات والتقاليد السائدة، والرفض والكراهية والعداء لكل ما يحيط بالفرد من قيم ومعايير، وقد يكون التمرد على النفس، أو على المجتمع بما يحتويه من أنظمة ومؤسسات، أو على موضوعات وقضايا أخرى»[41]، يتجلى هذا المظهر في حدوث الاغتراب قد يكون بين الفرد ونفسه الداخلية أو بينه وبين مجتمعه، فيحاول بذلك التحرر عبر التمرد من خلال العمل على كسر النمطية التي تعايش معها زمن طويل.

ي التشيؤ: Reification:

لا يقل التشيؤ بروزا عن بقية المظاهر الأخرى من الاغتراب، فهو «أن يتحول الإنسان إلى شيء، تتمركز أحلامه حول الأشياء، ولا يتجاوز هو السطح المادي وعالم الأشياء، وتصبح العلاقات بين البشر مثل العلاقات بين الأشياء...وحينما يتشيّؤ الإنسان، فإنه سينظر إلى مجتمعه وتاريخه (نتاج جهده وعمله وإبداعه) باعتبارهما قوى غريبة عنه، تشبه قوى الطبيعة المادية تفرض على الإنسان فرضاً من الخارج، وتصبح العلاقات الإنسانية أشياء تتجاوز التحكم الإنساني فيصبح الإنسان مفعولًا به لا فاعلًا، يحدث ما يحدث له دون أي فاعلية من جانبه، فهو لا يملك من أمره شيئًا»[42]، نفهم مما

41 عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص 42.

42 عبد الوهاب المسيري، فتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، ط 1، 2003م، ص 345.

تقدم أن التشيؤ متشابك مع المظاهر السابقة، فالتشيؤ هو جوهر الاغتراب، فالإنسان حينها يفقد إنسانيته ، والقيمة الإنسانية تعوض وتستبدل بالقيمة الاقتصادية التي تعوضه، فمثلا إذا انخفض مردوده في وظيفته بسبب تقدمه في السن أو عجزه فإنه يستبدل بأخر، ومن هنا لا ينظر إلى الإنسان بمنظور إنسانيته، بل بمقياس الربح والفائدة والقيمة الاقتصادية، فهنا يتشيء ويعوض بأشياء.

من خلال ما تقدم حول مظاهر الاغتراب، نجدها متداخلة فيما بينها وكل مظهر فيها يفضي إلى المظهر الذي يليه ويتشابك معه، وعليه ربما يكون المظهر الأساسي وراء ظاهرة الاغتراب هو «اللامعنى»، حيث يشعر المرء بأن لا قيمة لحياته ولامعنى لها لذلك يصعب عليه الاستمرار في الحياة، ويصبح متصفا بالعديد من المظاهر منها: «الإحساس بالقلق وعدم الارتياح الشعور بالضياع الإحساس باليأس وبعدم الفعالية والأهمية، الانسحاب والعزلة الاجتماعية والابتعاد عن المشاركة بالإضافة إلى احتقار الذات ومركزية التحكم وتضخيم الأنا والميل إلى العدائية والعنف ومعاداة المجتمع والثقافة السائدة»[43].

إن سعينا لبيان مظاهر الاغتراب تمليه الحاجة النظرية باستكمال أهم المباحث المتصلة بهذه الظاهرة، ومن جهة أخرى الدراسة التطبيقية لأننا سنحاول رصد هذه المظاهر من خلال المدونتين المطروحتين للتحليل المتعلقتين بشعر "عز الدين المناصرة" وشعر "مريد البرغوثي".

43 أسماء ربحي العرب، علاء زهير عبد الجواد الرواشدة: الاغتراب الاجتماعي لدى الشباب الأردني في عصر العولمة، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، مج 9، ع 2، جامعة الأردن، الأردن، 2016م، ص 225.

5 مآلات الاغتراب:

إن السقوط في متاهة الاغتراب والاستسلام له يقود إلى مآلات خطيرة تنعكس على سلوك المغترب، الذي نجده غير قابل لفكرة التهميش في مجتمعه بسبب الاغتراب الذي مس مختلف جوانب حياته، مما اضطر إلى القيام بالعديد من الإجراءات للخروج من هذا المأزق الذي وقع فيه، فلديه العديد من الخيارات والتي من بينها:

« الانسحاب من المجتمع.

الرضوخ له ظاهرا والنفور منه ضمنا.

التمرد والثورة عليه.»[44]

كلها نتائج للتعبير على الأقل حول رأي الفرد من هذه الظاهرة، فحاول بطريقة أو بأخرى الوصول إلى حلول ووضع حد لها في حياته العامة والخاصة، فالإحساس بالاغتراب خطوة أولية للثورة على الأسباب التي أفضت إليه، وهي تلك المؤثرات التي تحدثنا عنها سابقا.

44 إقبال محمد رشيد صالح الحمداني: الاغتراب التمرد قلق المستقبل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2011م، ص 67.

وعليه اتضح بأن لظاهرة الاغتراب أسباب دفعت بها إلى الظهور في مختلف المجتمعات، اتصفت هذه الظاهرة بالعديد من المظاهر، وهذا ما جعل من الشخصية المغتربة تتخذ إجراءات للابتعاد عنها.

المبحث الثالث: أنماط الاغتراب:

ضربت ظاهرة الاغتراب جذور المجتمع، ولذلك الاغتراب اغترابات لأنه ليس تجربة وإنما تجارب مختلفة، فنجدها حاصرت الإنسان في مختلف جوانبه الدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها من الجوانب، فلم تترك جانبا إلا وقد سيطرت عليه، فحاول الإنسان تخطيها إلا أنه وجد نفسه في صراع معها فلا مجال له للهروب منها، وهذا ما سنحاول توضيحه من خلال ما يلي:

1 الاغتراب النفسي:

الاغتراب كما هو معلوم حالة سيكولوجية في المقام الأول، فنجد فيه على الأغلب «المغترب معلّق دائمًا بين ماضٍ يبتعد، فيزداد تألقًا وطفولة واهمة، وبين مستقبل نهاياته مجهولة لدرجة الرعب. يبدو الحاضر بينهما حلبة صراع نفسي دائم، ومقارنات لا تنقطع»[45]، فهو يعاني من صراعات نفسية داخلية بين ماض لا يعود وواقع لا يحتمل ومستقبل لا يعرف فيه مصيره.

حيث تناول العديد من الباحثين دراسة هذا النمط من بينهم الباحثة "كارين هورني" (Karen Horney) (1885م 1952م) عرفته بأنه «طمث للتلقائية عند الفرد مما يجعله

45 صلاح نيازي: الاغتراب والبطل القومي، مؤسسة الأنتشار العربي، بيروت، ط 1، 1999م، ص 7.

في حالة اغتراب عن ذاته فالمغترب شخص يجهل تماما ما ذاته الواقعية وإن الفرد يشعر بتباعد بين ذاته وبين الصورة المثالية التي يجدها الفرد لذاته داخل ذهنه»[46]، يتبين أن الاغتراب هو حالة من الانفصال بين الإنسان ونفسه، لذلك يشعر بتباعد بينه وبين ذاته، وبينه وبين ما يجري من حوله.

2 الاغتراب الوجودي:

تقر الفلسفة الوجودية بأن الوجود الإنساني أسبق من الماهية، فالإنسان يهتم بوجوده دون المراعاة لأية عوامل متحكمة فيه، مرتكزا على العقل، لذلك فالاغتراب عندها «ميتافيزيقي الأصل، وليس مرتبطا بالوجود العيني في جوهره، بل مرتبط بطبيعة خلق الحياة، فهو داخل صميم الوجود الإنساني، داخل في نسيج الإنسان، نحن مدانون بالاغتراب، ومهما حاول الإنسان من خلال الحرية، ومن خلال إحساسه بالزمان ومن خلال علاقاته الاجتماعية، ومن خلال العمل، أن يتجاوز أو أن يشفى من الاغتراب، فإنه سيموت مغتربا لأن الحياة نفسها اغتراب»[47]، يكمن الاغتراب في أعماق روح الإنسان، فلا يمكنه التحرر والتخلص منه، ومهما حاول الوصول إلى الحرية إلا أنه يجد نفسه في حالة اغتراب بين مختلف العلاقات في مجتمعه، فيبقى هذا الاغتراب ملازما للفرد حتى نهاية حياته.

46 دبلة عبد المجيد أحمد خولة: دور التصدع الأسري المعنوي في ظهور الاغتراب النفسي لدى المراهق، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2015م، ص 86.

47 كاميليا عبد الفتاح: الشعر العربي القديم دراسة نقدية تحليلية لظاهرة الاغتراب، دار لمطبوعات الجامعية، الإسكندرية، د ط، 2008م، ص 11.

3 الاغتراب الاجتماعي:

تفشى هذا النوع من الاغتراب في العديد من المجتمعات، نتيجة لعدم احترام القوانين التي ينص عليها المجتمع، كما نجد للمجتمع أيضا دورا في ظهور القمع والتسلط، حيث «لا يتطابق النسق الاجتماعي للمواقف والقيم مع كلية الطبيعة الإنسانية. والشخصية الكلية. فهناك سمات إنسانية وميول ونزعات وطرق في التفكير والشعور والتقبل والتصرف ليست متضمنة في نمط الحياة المقبول على الصعيد الاجتماعي»[48]، فعند التخلص إلى عدم الاتفاق بين المبادئ التي يقوم عليها المجتمع وبين ما تمليه طبيعة الإنسان من قيم ومواقف جعلته يعاني من الاغتراب وهو داخل مجتمعه وبيئته، ويمكن أن نمثل هذا النمط بالصعلكة وأشعار الصعاليك في الشعر الجاهلي، فإعراضهم عن النظام الاجتماعي القبلي السائد أنا ذاك سبب لهم جرحا كبيرا، وأفضى لاحقا إلي انفصامهم عن مجتمعهم وعاشوا حالة من العبثية والتمرد.

4 الاغتراب الديني:

يمكن عد هذا النمط من الاغتراب الأقدم من حيث الظهور، منذ خروج الإنسان من عالمه الأول عالم الجنة إلى عالم الأرض، يعرف بأنه: «الانفصال أو التجنب عن الله»[49]، وقد تشكل هذا النوع من الاغتراب «منذ لحظة خروج آدم من عالم الملكوت السماوي ودخوله عالم الشهادة، متنقلًا من علم كان يمتُّ بصلة انتماء إلى لحظة خلقه الأولى إلى

48 والتر فيسكوف: الاغتراب الوجودي، تر: كامل يوسف حسن، دار الآفاق الجديدة، بيروت ، لبنان، د ط، د ت، ص 23.

49 عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص 101.

عالم مثل عقابًا يتناسب مع إثمِ معصيته. فانتقل من الطمأنينة إلى القلق والحيرة والمعاناة، ومن القرب إلى البعد لتشكل الأزمة مفصلًا من مفاصل وجوده»[50]، لذلك جعل خطأ أدم عليه السلام ينفصل عن الفردوس والخروج من عالم الملائكة وعوالم الجنة إلى عالم الشقاء والتكليف الإلهي، فوجود الإنسان في الأرض لدى بعض الباحثين هو أول اغتراب حصل ويبقى الإنسان يحن دائما للعودة إلى المكان الذي أخرج منه بسبب الخطيئة.

5 الاغتراب الاقتصادي:

عرفت الطبيعة الإنسانية الاغتراب بمختلف أنواعه، لاسيما الاغتراب الاقتصادي الذي مس الحياة المهنية للفرد، حيث أصبح «العمل هو مهمة تنافسية نازعة للإنسانية في خدمة البقاء الفردي»[51]، وعليه أصبح العمل في هذه الحالة يخدم الفرد بدل أن يخدم العامة، واهتم بهذا النوع من الاغتراب "كارل ماركس" «باعتباره العملية التي يفقد الفرد خلالها قدرته على التعبير عن ذاته التي تحولت وصارت تبدو متمثلة في استغلال إنتاج العمال بواسطة الرأسمالي»[52]، يعجز الإنسان في ظل هذا النظام حتى على التعبير عن

50 ميلاد عادل جمال المولى: السرد عند شعراء القصائد العشر الطوال، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2013م، ص 127.

51 باترك ماسترسن: الإلحاد والاغتراب بحث في المصادر الفلسفية للإلحاد المعاصر، تر: هبة ناصر، مراجعة: إبراهيم الموسوي، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية العتبة العباسية المقدسة، د م، ط 1، 2017م، ص 115.

52 يحى العبد الله: الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2005م، ص 25.

ذاته، ويصبح يعامل معاملة السلعة، ولا وجود لأي فارق بينهما، فنقول إنسان أو سلعة لهما نفس القيمة.

وبهذا الطرح نجد انفصال «المنتج عما أنتجه. بل إن ما أنتجه أصبح غريبًا عنه، قاهرًا مستبدا به. وبعد أن كان الإنسان سيدا بعمله أصبح عبدًا لثمرة هذا العمل، وبعد أن كان خالقًا محققا لذاته ووجوده بخلقه، أصبح فاقدا لهذه الذات ولهذا الوجود»[53]، ومن هنا نجد أن الاغتراب يأخذ تفسيرا اقتصاديا، فالعامل ينتج أضعافا مضاعفة من قيمة الأجر الذي يتقاضاه، ونجد أن الربح يتحول إلى رب العمل، ويصبح الإنسان مغتربا بعبوديته لرب العمل، وعليه أصبح العمل سببا في اغتراب الإنسان.

6 الاغتراب السياسي:

يعيش الأفراد في المجتمعات المتسمة بالتغيير والتحول، فهذا التغيير حصل في العديد من جوانب حياتهم، حتى الجانب السياسي مما ألزمهم التنحي جانبا عنه، فيقصد به «شعور الفرد بالعجز إزاء المشاركة الإيجابية في الانتخابات السياسية المعبرة بصدق عن رأي الجماهير، وكذلك الشعور بالعزلة عن المشاركة الحقيقية الفعالة في صنع القرارات المصيرية المتعلقة بمصالحه، واليأس من المستقبل، على اعتبار أن رأيه لا يسمعه أحد، وإن سمعه لا يهتم به ولا يأخذ به»[54]، فنجد معاناته مستمرة نظرا لعدم رد الاعتبار لأرائه وقراراته، وحرمانه أيضا من المشاركة السياسية والانضمام إلى الأحزاب وغيرها.

53 عبد المنعم تليمة: مقدمة في نظرية الدب، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د ط، 1997م، ص 80.

54 عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص 97.

7 الاغتراب المكاني:

إن أهم ما يميز المكان في حياة الإنسان هو الاستقرار والمكوث فيه مدى حياته، إذ يعد ذلك الفضاء الذي يحيا فيه بكل حرية بين أفراد المجتمع، لكن ما إن تظهر فيه ملامح الظلم والفساد يضطر إلى هجره والابتعاد عنه، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه بالاغتراب المكاني حيث يعني «مغادرة المكان طوعًا أو كرهًا، وتكون في الغالب لأسباب سياسية أو اقتصادية أو ثقافية»[55]، وعليه يترك المرء وطنه نتيجة لعدم التئام ظروف الحياة، مغتربا في مكان غير الذي كان يألف العيش فيه.

وعليه أنماط الاغتراب متنوعة ومتداخلة ولا يمكن فصل نمط عن آخر، لأنها تشكل بمجملها صورة عن انفصام الإنسان عن نفسه وعن محيطه، فمثلا يؤدي الاغتراب النفسي عن انفصال الذات عن ذاتها، كما أنه يؤدي إلى انفصالها عن مختلف العلاقات التي تقيمها مع مجتمعها.

نستنتج في نهاية هذا الفصل أن مصطلح الاغتراب من بين المفاهيم الغامضة، نظرا لتعدد مفاهيم الباحثين والفلاسفة حوله، فلا يكاد ينحصر في مفهوم واحد عام، له عدة أسباب جعلت الفرد ينعزل عن ذاته وعن مجتمعه، متصفا بمظاهر انعكست سلبا على سلوكه ورؤيته للوجود، كما تمخض عن هذا المصطلح أنماطا شملت مختلف نواحي الحياة، وعليه نجم عن ظاهرة الاغتراب اضطرابات مست النظام الحياتي للفرد.

55 نوزاد حمد عمر: الغربة في شعر كاظم السماوي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2013م، ص 39.

الفصل الثاني

ظاهرة الاغتراب في الشعر العربي.

المبحث الأول: الاغتراب في الشعر العربي القديم.

المبحث الثاني: الاغتراب في الشعر العربي الحديث.

المبحث الثالث: الاغتراب في الشعر العربي المعاصر.

تمهيد:

تعد ظاهرة الاغتراب من أهم الظواهر التي تناولتها الدراسات النقدية، خاصة تلك التي تبحث عن تفسيرات الشعور بالعزلة والعجز والوحدة في مختلف التجارب الشعرية، وعليه ظاهرة الاغتراب ليست وليدة الحداثة والتغييرات الحاصلة في مختلف الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، بل هي قديمة قدم الحياة البشرية منذ نزول أب البشر أدم عليه السلام من الفردوس الأعلى على وجه الأرض، حيث بدأت علامات الاغتراب بالبروز كما سبقت الإيماءة، فهذه الظاهرة قديمة نلتمسها في أكثر من تجربة شعرية عربية وفي أكثر من عصر، بداية من العصر الجاهلي، العصر الإسلامي، العصر الأموي، العصر العباسي، كما نجد لها حضورا قويا في تجارب شعرية حديثة ومعاصرة، وهذا ما سنحاول بيانه في هذا الفصل بالتركيز على أهم التجارب الشعرية التي تجلت فيها ظاهرة الاغتراب والبحث عن أسبابها، مع إبراز شواهد شعرية قصد بيان أهم أنماط هذه الظاهرة السائدة في الشعر العربي.

المبحث الأول: الاغتراب في الشعر العربي القديم:

يعد الشعر ديوان العرب، فهو يترجم مختلف الأحوال التي عايشها الشاعر العربي القديم، يضم بين طياته صورة دقيقة عن نفسية الفرد العربي، عن نمط حياته، وكيفية تفكيره، وبنية سلوكه، وعلاقاته مع غيره (الإنسان، الطبيعة، الخالق، القيم...)، مقدمًا العديد من الظواهر التي تعايش معها هذا الشاعر، ولعل ظاهرة الاغتراب من أهم الظواهر التي وضحتها قصائده، وهذا ما سنحاول توضيحه من خلال ما يلي:

1 الاغتراب في الشعر الجاهلي:

لقد قدم الشعر الجاهلي صورة عن اغتراب الشاعر في هذا العصر، فهذه الظاهرة بارزة منذ بداياته، «حيث يظل الاغتراب إحدى وسائل الكشف عن دقائق حياة الجاهلي وتفاصيلها، وإحدى صوّر الغوص وراء معطيات عالمه الخاص وقد حدا به إلى ضرب من الانطواء بالمعنى «النفسي»، أو عكس ذلك من الرغبة الجامحة في تجاوز القيم، والانفتاح على مادة الواقع، وإن تعَّددت صوّر هذا التجاوز أو غير من مواقف تحكيها لحظات الإحساس بالفقد أو الحرمان، أو معايشة عالم الضياع، أو الوقوف على منطقة الاستسلام والانهزام البشري»[1]، لذلك راح الاغتراب يطارد حياة الشاعر الجاهلي بجوانبها المختلفة، وهذا ما سبب له آلالام وجروح خاصة على الجانب النفسي له، فعاش منفصلا عن الأخر، سالكا طريقه إلى عالم الضياع والتمزق الروحي.

إن الظروف القاسية التي أحاطت بحياة الشاعر الجاهلي لعبت دورًا كبيرًا في اغترابه عن المكان الذي كان يعيش فيه، وهذا يعود إلى قسوة المجتمع، مما جعله يعود أدراجه إلى الوراء مستذكرا أيام ماضيه، إضافة إلى معاتبة من كانوا سببا في معاناته، فكل هذا أورده في معلقته، ولعل أهم مظاهر الاغتراب في هذا العصر هو الوقوف على الأطلال، فالوقوف على الطلل من أبرز الحالات التي تخرج الشاعر العربي القديم من لحظته تلك إلى لحظة ماضية، «إذ أن إطلالة الشاعر على رحاب الماضي هي الأرضية المشتركة لأطر لوحات الطلل دون استثناء، لذلك يعد الوقوف تجسيدا حقيقيا لمشاعر الاغتراب،

1 مي يوسف خليف: ظاهرة الاغتراب عند شعراء المعلقات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، د ت، ص 16 17.

ويشكل صرخة مؤلمة على الحياة الضائعة»[2]، نلمس في الوقفة الطللية اغترابا يتحقق بمستويات عدّة منها: المكان، فالمكان يبقى واحد على الرغم من التغيير الذي طرأ عليه، إذ تحول من صفة المأهول إلى مكان الخراب، ينعكس أساسا على واقع الشاعر المغترب.

وإذا ما أردنا الحديث عن أبرز شعراء المعلقات نستحضر معلقة "امرؤ القيس"، فهو «أوَّل من وَقَفَ واستوقفَ، وبكَى واستبكَى، وعُرفت القصيدة ب «قِفَا نَبْكِ»؛ وضُرب بشهرتها المَثَل»[3]، حيث جسدت معلقته فعل الوقوف على الطلل للدلالة على ظاهرة الاغتراب التي يعاني منها، ففي قصيدته «قفا نبك» نجده يبكي ويتذكر منزل الحبيب الذي كان يألف الذهاب إليه، يقول:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمِلِ

فَتُوضَحَ فَالْمِقْرَاةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ

رُخَاءً تَسِيْحُّ الرِّيحُ فِيْ جَنَبَاتِهَا كَسَاهَا الصِّبَا سُحْقَ اَلْمَلاَءِ اَلْمُذَيَّلِ[4]

يستوقفنا في بداية هذه الأبيات الشعرية للشاعر فعل الأمر(قفا) مخاطبا صحبه للوقوف على ذكريات هذه الديار، حيث شخص لنا انكساره أمام استرجاعه لذكرى الحبيب واغترابه عن المكان الذي لحقه التغيير، فوقف باكيا على أثار هذه الديار، وهذا ما أحلتنا

2 أحمد علي الفلاحي: الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2013م، ص 10.

3 عبد الله بن أحمد الفيفي: مفاتيح القصيدة الجاهلية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1، 2014م، ص 29.

4 امرؤ القيس: الديوان، ضبطه وصححه: مصطفى عبد الشافي، شرح: حسن السندوبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 5، 2004م، ص 110 111.

إليه فضاءات النص (سقط اللوى، الدخول، حومل، توضح ، المقراة)، ليتشكل لنا من خلال هذه الأطلال صورة عن اغتراب الشاعر المكاني والنفسي وخاصة وأنه يذكره بأحبته.

وقد عانى "عنترة بن شداد" من اغتراب نفسي «عندما نكره أبوه وعمّه، فقاسى مأساة لونه وعبوديته اللذين وقفا حائلا دون المنال من معشوقته»[5]، حيث عبر عن شعوره قائلا:

اَلْمَالُ مَالُكُمُ وَاَلْعَبْدُ عَبْدُكُمْ فَهَلْ عَذَابُكِ عَنِيْ اَلْيَومَ مَصْرُوفُ[6]

يجسد لنا هذا الشاهد الشعري مأساة الغربة النفسية التي عانى منها "عنترة"، حيث قدم تصوير عن نفسيته الضائعة عندما رفضت قبيلته الاعتراف به في قوله: (المال مالكم والعبد عبدكم)، كما وظف صيغة الاستفهام (هل) في قوله: (فهل عذابك عني اليوم مصروف) للتأكيد على عذابه وضياعه الناجم عن فراق محبوبته.

إن الصعلكة في العصر الجاهلي، تعتبر في حد ذاتها مظهرا من مظاهر الاغتراب، والتي «تعود إلى أسباب كثيرة منها عدم وجود دول جامحة، وعدم وجود زعامات متزنة، وعدم التوازن بين الغنى والفقر، ثم طبيعة الأرض الصحراوية، وقسوة الحياة، وكذا الفراغ الذي يغشى كثيرا من الجاهليين في ذلك المجتمع»[7]، فكل هذه الأسباب التي كان للمجتمع دخل فيها، أصبحت سببا في تصعلك الشاعر وانفصاله عن مجتمعه.

5 أحمد علي الفلاحي: الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية)، ص 10.

6 عنترة بن شداد: الديوان، تح: محمد سعيد مولوى، المكتب الإسلامي، القاهرة، د ط، 1964م، ص 110.

7 حسن عبد الجليل يوسف: الأدب الجاهلي "قضايا، وفنون، ونصوص"، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط 1، 2007م، ص 165.

كما نجد القيم التي دعا إليها الصعاليك لا تنسجم والقيم التي كرسها نظام القبيلة، لذلك اغترب الشعراء عن مجتمعهم وتمردوا عليه، إذ «يعد التمرد حياة حين يضيق صاحبه بمقومات واقعه، أو بطبيعة المعاشرة لمجتمعه، عندها يبدأ إحساس الشاعر بذاته المنعزلة في دائرة الضياع أو الاغتراب»[8]، حيث ذهبوا إلى الوقوف في وجه مجتمعهم معلنين بذلك تمردهم بغية تحقيق أهدافهم، «إنهم يريدون أن يحققوا لهم مكانة في هذا المجتمع الذي يحتقرهم ويستهين بهم عن طريق فرض أنفسهم بالقوة عليه، وهم في سبيل هذا لا يبالون بشيء، حتى بالحياة نفسها، فهم غير مؤمنون بفكرة الفناء في سبيل المبدأ، وما قيمة الحياة إذا عاش الإنسان فقيرًا محتقرًا، منبوذًا من مجتمعه مجفوًّا؟ إن الموت في هذه الحالة خير من الحياة»[9]، فيودون تحقيق منزلة لهم في المجتمع الذين ينتمون إليه، لكنهم يوقنون بأن لا قيمة لهم خاصة إذا عاشوا في هذا المجتمع الرافض لهم، فهم يفضلون الموت على أن يعيشوا مهمشين ومحتقرين.

وهذا ما نجده متجسدا في شعر سيد الصعاليك "عروة بن الورد"، يقول في قصيدته سؤال إلى صعلوك:

إِذَا اَلْمَرْءُ لَمْ يَبْعَثْ سَوَامًا وَلَمْ يُرَحْ عَلَيْهِ، وَلَمْ تَعْطِفْ عَلَيْهِ أَقَارِبُهْ

فَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ لِلْفَتَى مِنْ حَيَاتِهْ فَقِيْرًا، وَمَنْ مَوْلَى تَذُبُّ عَقَارِبُهْ[10]

8 عبد الله التطاوى: أشكال الصراع في القصيدة العربية في العصر الجاهلي، ج 1، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، د ط، 2002م، ص 107.

9 يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1959م، ص 34.

10 عروة بن الورد: الديوان، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، 1998م، ص 48.

يتضح من خلال قول الشاعر مظاهر الاغتراب الاجتماعي نتيجة للنبذ والرفض الذي مارسه عليه هذا المجتمع، وقد توضحت لنا إشارات عن هذا النمط من الاغتراب عبر لغته الشعرية، موظفا جملة الشرط (إذا المرء لم يبعث سواما ولم يرح عليه، ولم تعطف عليه أقاربه)، فإذا لم يتحقق لع العطف والقبول من قِبل الأقارب، فالنتيجة تحيلنا إليها جملة جواب الشرط (فللموت خير للفتى من حياته)، كما وظف لفظة (الموت) للدلالة على نهايته جراء هذا الانفصام، فيرى بأن لا جدوى للحياة خاصة عندما يعيش المرء منفصلا عن مجتمعه.

ولعل لامية "الشنفرى" جسدت لنا الشرخ الذي أحدثته ظاهرة الصعلكة في حياته، حيث نجم عنها الانفصال بين أنا الشاعر وقبيلته التي ينتمي إليها «إنه عالم الطبيعة، العالم البكر النقي، لا ثبات فيه لأشكال حياة الجماعة، وفي صورته هذه يكون المكان في نص الصعلكة تجسيدًا للانفصام الحاد بين الذات الفردية والذات الجماعية، الانفصام الذي يتجلى أيضًا على صعيد القيم، والتطلعات، وتصور الفرد لوجوده وعلاقته بالجماعة»[11]، فلما اكتشف أمر الشاعر بأنه صعلوك، وأنه تمرد على المجتمع لمساندة الفقراء، انتبذته قبيلته، فأصبح يعاني نتيجة الاغتراب عنها.

وعليه يمكن اعتبار كل من "امرؤ القيس" و"عنترة بن شداد" و"عروة بن الورد" و"الشنفرى" من أبرز شعراء العصر الجاهلي الذين عانوا من ظاهرة الاغتراب، فذهب "امرؤ القيس" إلى الوقوف على الطلل مستذكرا ذكرى الحبيب فشعر باغتراب مكاني ونفسي، أما "عنترة بن شداد" عانى من لونه وتعرضه للعبودية وغياب محبوبته كلها

11 محمود سليم هياجنة، أحمد حسن الحسن: لغة الفردية والمكان؛ لامية الشنفرى نموذجا، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 43، ع 2، جامعة الأردن، الأردن 2016م، ص 719.

مسببات جعلته يغترب نفسيا، أما الشاعرين "عروة بن الورد" و"الشنفرى" فصلا عن قبيلتهما وذالك بسبب التصعلك والخروج عن قوانين المجتمع، مما عاشوا في مأساة الاغتراب الاجتماعي.

2 الاغتراب في الشعر الإسلامي:

تغيرت الأسباب التي أدت إلى ظهور الاغتراب في الشعر الإسلامي بخلاف ظهورها في الشعر الجاهلي، فيمكن القول بأن الفتوحات الإسلامية تسببت في اغتراب الشاعر، حيث «تطورت دوافع الاغتراب بعد ظهور الإسلام؛ إذ تراجع الأساس القبلي مقابل الأساس الإسلامي، واقتضت الضرورة خروج الجيوش الإسلامية إلى مختلف الاتجاهات لنشر الرسالة السماوية، وكان الفاتحون في بعدهم هذا عن وطنهم يحسون بالغربة، فهذا أحدهم يشكو غربته إلى قمرية حزينة مثله في مرو الشاهجان فيقول:

أَقُمَرِيَةِ اَلْوَادِيْ اَلْتِيْ خَانَ إِلْفَهَا مِنَ اَلْدَهْرِ أَحْدَاثٌ أَتَتْ وَخُطُوبُ

تَعَالِيْ أُطَارِحُكِ اَلْبُكَاءِ فَإِنَنَا كِلَانَا بِمَرْوُ اَلْشَاهِجَانِ غَرِيْبُ[12]

يتبن لنا من خلال هذه الأبيات الشعرية أن الشاعر يناجي "قمرية" موظفا أسلوب النداء لما يحمله من معنى البعد قوله: (أقمرية الوادي)، حيث عمل على نداءها واستدعاءها على اعتبار أنها عايشت التجربة نفسها التي عاشها، فكلاهما اغترابا في

12 لزهر مساعدية: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2013م، ص 72 73.

(مرو الشاهجان)، وعليه كشفت لنا اللغة الشعرية التي وظفها الشاعر في شعره على شعوره بالاغتراب المكاني والنفسي بسبب الفتوحات الإسلامية.

ومن شعراء هذا العصر "مالك بن الريب التميمي"عبر عن اغترابه بسبب الموت، حيث دخل في حالة «اغتراب وجودي أمام «الغد» والخوف من المجهول وملاقاة ذلك المصير المؤكد العنيف، الذي لا سبيل إلى تلاقيه أو مقاومته: الموت! والذي ظلت له نفس المؤمن بعض رهبة على الرغم من أن العقيدة الإسلامية خففت كثيرا من وقعه المأساوي العنيف»[13]، وبهذا تملكت نفس الشاعر الحيرة والاغتراب عن الوجود، نتيجة للخوف الذي تملك نفسه بسبب الموت، يقول إحدى قصائده:

غُدَاةَ غَدٍ يَا لَهْفَ نَفْسِيْ عَلَى غَدٍ إِذَا أَدْلَجُوا عَنِّيْ وَأَصْبَحْتُ ثَاوِيَا[14]

عكس لنا هذا الشاهد الشعري "لمالك بن ريب التميمي" صورة عن إحدى تجاربه الفردية في هذا الوجود وهي نظرته إلى الموت، ففي قوله: (غداة غد يا لهف نفسي) شعر بقرب أجله، فيرى في الموت أنه سيكون مصيره الحتمي والمؤكد، وعليه عبرت هذه الصورة الشعرية عن شدة اغتراب الشاعر عن الوجود في ظل خوفه من الموت.

الاغتراب في الشعر الجاهلي غير الاغتراب في الشعر الإسلامي، فالأول عانى فيه مرارة الاغتراب بالفقد والحرمان الممارس عليه من طرف المجتمع بالرغم عنه، أما الثاني يمكن القول بأنه اغتراب إيجابي برغبة الشاعر، فكان اغترابه بسبب الفتوحات

13 عبد العزيز الموافى: قراءة في الأدب الإسلامي والأموي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 6، 2007م، ص 125.

14 المرجع نفسه، ص 125.

الإسلامية لنشر الدين الحنيف، كما نجد اغتراب الشاعر "مالك بن ريب التميمي" عن وجوده بسبب خوفه من الموت.

3 الاغتراب في الشعر الأموي:

احتفل الشعر الأموي بمظاهر عديدة للاغتراب منها: الاغتراب السياسي، وعليه «بظهور الأحزاب السياسية في العصر الأموي تمخض لون من ألوان الاغتراب، ألا وهو الاغتراب السياسي، وتجلى ذلك في السخط والعداء والثورة على بني أمية من طرف الأحزاب الأخرى (الزبيريون، الخوارج، الشيعة) وخاصة الشيعة لأنهم رأوا في بني أمية المغتصب للخلافة»[15]، حيث كان لقبيلة بني أمية دورا في ظهور هذا النوع من الاغتراب لاستيلائهم على الخلافة، وممارستهم للطغيان والجور في حق الأحزاب الأخرى.

ظهرت الصعلكة في الشعر الجاهلي واستمرت حتى العصر الأموي، فأشعار الصعاليك تدل على تجل واضح للاغتراب خاصة الاغتراب الاجتماعي، ومن بين الشعراء الصعاليك في هذا العصر "عبيد بن أيوب" «مارس اللصوصية ردحا من الزمن ثم ارتكب جناية لم تذكرها كتب الأدب، أهدر السلطان على أثرها دمه، وخلعه قومه، وهو حكم أباح للجميع حق ترصده وقتله، فنفر من الناس، وهجر المجتمع إلى البراري والمفازات بعيدا عنهم، وعانى نتيجة لهذا قسوة الترقب والخوف أدت به إلى حالة من الاضطراب النفسي الشديد، حتى أصبحت حياته يكتنفها الرعب والخوف إلى حد الموت، وأصبحت كل هذه الاضطرابات النفسية معالم أساسية في شعره»[16]، تصعلك الشاعر

15 لزهر مساعدية: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، ص 75.

16 فاطمة حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 1، 1997م، ص 264.

جعل المجتمع يقسوا عليه وينفره، فعانى من اضطرابات نفسية داخلية، مما أدى به إلى الاغتراب عنه، يقول في قصيدته:

كَأَنْ لَمْ أَقُدْ سُبْحَانَكَ اَللهُ فِتْيَةً لِنَدْفَعَ ضَيْمًا أَوْ لِوَصْلٍ نُوَاصِلُهْ

عَلَى عَلَسِيَّاتٍ كَانَ هُوِيُّهَا هُوِيَّ اَلْقَطَا اَلْكَدْرِيَّ نَشَتْ ثمَائِلُهْ[17]

تصور لنا هذه الأبيات الشعرية موقف الشاعر الرافض لما يدور في مجتمعه من أجواء طاغية ومستبدة في حق الطبقة الفقيرة، حيث وظف الأسلوب الإنشائي الذي يعبر عن علامات التعجب لديه من أفعال هذا المجتمع، وهذا ما نجده في قوله: (كأن لم أقد سبحانك الله فتية)، كما عمل الشاعر على ذكر أفعال مضارعة (أقد، تدفع، نواصل) للإشارة إلى استمرار وقوفه ضد مجتمعه من أجل استعادة حقوق الفقراء، ليدخل في مأساة الاغتراب الاجتماعي، معانيا من اضطرابات نفسية جراء الانفصام عنه.

كما نجد في هذه الحقبة من تاريخ الشعر العربي حضور الاغتراب النفسي الذي انكسر فيه الشاعر أمام المحبوبة بالبعد عنها، وهذا ما مثله الشاعر"قيس بن الملوح" عندما انفصل عن محبوبته "ليلى"، وعليه هذا الاغتراب الذي التف حول روحه واكتوائه بناره كان نتيجة هذا الانفصال، حيث نجد أن «الذات مسكونة بحسّ الغربة وعلى نحو شديد الوطأة، لكنّها ليست تلك الغربة الأكثر شيوعا نعني الغربة المكانّية، وإنما غربة أخرى، غربة أكثر فتكًا وإيلامًا بحاملها، تلك الغربة النفسيّة، الرُّوحية، العاطفية، تلك

17 فاطمة حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي، ص 264.

الغربة الناتجة عن النأيّ العاطفيّ والوجدانيّ، لا النأيّ المكانيّ، ذلك بالضبط ما أرادت الذات أن تفهمه للأنت / المحبوبة»[18]، قال في قصيدته أيها القلب:

فُؤَادِيْ بَيْنَ أَضْلَاعِيْ غَرِيْبُ يُنَادِيْ مَنْ يُحِبُ فَلَا يُجِيْبُ[19]

يبين لنا هذا الشاهد الشعري صورة عن اغتراب الشاعر النفسي، والذي نجم عن انفصاله عن من يحب، حيث توالى ذكره للألفاظ التي تتصل بذاته (فؤادي، أضلاعي) للدلالة على انطوائه النفسي في ظل الحرمان والافتقاد للحبيب، كما نجده قد تأكد له انعدام التواصل مع الحبيب بتوظيفه عبارة (ينادي من يحب فلا يجيب)، ليصبح بذلك يعاني من اضطرابات نفسية وانفصام في حياته بسبب هذا الفراق.

تعرض الشعراء الأمويون لأنواع عديدة من الاغتراب، كالاغتراب السياسي الذي حصل بين قبيلة بين أمية ومختلف الأحزاب التي ظهرت في هذا العصر، والاغتراب الاجتماعي عند الشاعر "عبيد بن أيوب" انفصل عن مجتمعه بسبب دفاعه عن الفقراء، والاغتراب النفسي الذي مثله الشاعر "قيس بن الملوح" حينما ابتعد عن محبوبته "ليلى" متذوقا مرارة الفراق، فكانت هذه من أبرز أنماط الاغتراب التي أثرت سلبا على حياة الشاعر في هذا العصر.

18 فاضل أحمد القعود: جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2012م، ص 253.

19 قيس بن الملوح: الديوان، رواية أبي بكر الوالبي، دراسة وتعليق: يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1999م،ص 78.

4 الاغتراب في الشعر العباسي:

تميزت الحياة في العصر العباسي باضطرابات في مختلف مجالات الحياة، فراح الشعراء العباسيون يجسدون شعورهم بالاغتراب حول الحياة المتوترة التي عاشوها، حيث يعد "أبو علاء المعري" أشهر شعراء العصر العباسي معاناة من ظاهرة الاغتراب، فكان الابتلاء بالعمى منذ الصغر سببا في اغترابه، «فحياة المعري مكابدة ومجاهدة وشقاء ومعاناة منذ كان في الثالثة من عمره ثم بعد مفارقته البصر في الرابعة ولم يدرك من الألوان إلا الأحمر بوصفه آخر ما رآه...وكلما امتدّ به العمر وخَبرَ أساليب العامة والخاصة ازداد تمرده ومن ثم اغترابه على تلك الأساليب التي اطمأن إليها الناس في صميم التصاقهم بالخداع والكذب؛ والزيف والنفاق و...»[20]، فالعمى المبكر الذي أصيب به الشاعر جعله يعيش في اغتراب نفسي واجتماعي، يقول في قصيدته:

إِذَّا مَرَّ أَعْمَى، فَارْحَمُوهُ وَأَيْقِنُوا، وَإِنْ لَمْ تَكُفُّوا، أَنَّ كُلَّكُمْ أَعْمَى[21]

عانى "المعري" من اغتراب نفسي واجتماعي، فوجد نفسه محروما من نعمة البصر في مجتمع لا يدرك أهمية هذه النعمة، مما أدى به إلى الانفصام عن ذاته وعن مجتمعه، وهذا ما صوره قوله الشعري موظفا أسلوب الشرط قوله: (إذا مر أعمى) ليعمل على تنبيه مجتمعه المفتقد للرحمة لكن دون جدوى، واستعماله لعبارة (وإن لم تكفوا، أن كلكم أعمى) تحيل إلى استمرار طغيان المجتمع على هذه الفئة المحرومة واصفا إياه بالعمى.

20 حسين جمعة: الاغتراب في حياة المعري وأدبه، مجلة جامعة دمشق، مج 27، ع 1 + 2، دمشق، 2011م، ص 27 28.

21 أحمد بن عبد الله أبو علاء المعري: ديوان لزوم ما لا يلزم، حرره وشرح تعابيره وأغراضه: كمال الياجزي، مج 2، دار الجبل، بيروت، د ط، 2001م، ص 311.

وعليه يمكن القول إن اغتراب "المعري" يتمثل في موقفين: «أحدهما خاص بعاهة فقد البصر التي ألمَّت به وحبسته عن العالم من حوله. والثاني: خاص بطموحه إلى الاستمرار في تيار الاغتراب ومناجاة الذات وفلسفة الحياة بعيدا عما يرفضه من قيم المجتمع وتقاليده»[22]، ومن هنا يتبين لنا أن الشاعر عاش في اغتراب نفسي واجتماعي مر حتى نهاية حياته.

كما يعد الشاعر "الشريف الرضي" أحد أفراد المجتمع العباسي لكنه اغترب عنه، ذلك أنه «لم يأخذ شيئا من مجتمعه، ذلك المجتمع الذي اختفت فيه تقريبًا القيمة الاجتماعية العربية الأصيلة، لذا لم يأخذ من هذا المجتمع إلّا موارد النقد التي عكسها في شعره بصورة غير مباشرة»[23] ، فيرى أن مجتمعه قد افتقد للقيم، مجسدا هذا الاغتراب في شعره، قوله في قصيدته نفرت بنات الصبر:

لَا تُنْكِرَنَّ مِنَ الزَّمَانِ غَرِيْبَةً، إِنَّ اَلْخُطُوبَ قَلِيْبُهَا لاَ يَنْزَحُ

لِلْذُّلُّ بَيْنَ اَلْأَقْرَبِيْنَ مَضَاضَةٌ، وَاَلْذُلُّ مَا بَيْنَ اَلْأَبَاعِدِ أَرْوَحُ

وَإِذَا رَمَتْكَ مِنَ الرِّجَالِ قَوَارِصٌ، فَسِهَامُ ذِيْ اَلْقُرْبَى اَلْقَرِيْبَةِ أَجْرَحُ[24]

افتتح الشاعر هذه الأبيات الشعرية بصيغة النهي (لا)، ليشير إلى أن زمان مجتمعه قد تغير ولم يعد كما كان عليه في الماضي، وقد عمل التشبيه على إظهار غربة الشاعر في

22 عبد الله التطاوى: القصيدة العباسية قضايا واتجاهات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، د ت، ص 350.

23 ثائر سمير حسن الشمري، حسن عبد الهادي الدجيلي: بحوث في الشعر العربي، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2014م، ص 57 58.

24 الشريف الرضي: الديوان، جمع: إحسان عباس، مج 1، دار صادر، بيروت، د ط، 1958م، ص 258.

مجتمعه، فقد شبه (السهام) وما تحدثه في النفس من آلالام وجروح (بالقربة)، وعليه شكلت هذه القربة التي عملت على جرح مشاعر الشاعر سببا في انفصامه عن مجتمعه.

وقد استمرت معاناة الشاعر من طرف مجتمعه ليس بجرح القربة فقط، وإنما بجرح الأصدقاء أيضا، حيث «يرتفع مستوى الغربة الاجتماعية في نفس الشريف الرضي، إلى حالة اغترابية أكثر مأساوية، من تلك التي لفَّها به خذلان أكثر الناس، وهي خذلان الأصدقاء، وهي الحالة الثانية من الاغتراب الخانق الذي يسد أبواب التضامن الأخوي والروحي بوجهه»[25]، فما ترتب عن صداقة هذا الشاعر بأصدقائه هو الخيانة والغدر، وهذا ما زاد من شدة الاغتراب الاجتماعي لديه، معبرا عنه في أبيات من قصيدته يا دار قل الصديق فيك:

يَا دَارُ قَلَّ الصَّدِيْقُ فِيْكِ، فَمَا أُحُسُّ وِدًّا، وَلَا أَرَى سَكَنَا[26]

تعرض الشاعر لخذلان الأصدقاء، حيث افتتح هذا الشاهد الشعري بأسلوب النداء مع ما يشير إليه هذا الأسلوب من تفجع وتحسر قائلا: (يا دار قل الصديق فيك)، ليكون هذا الخذلان سببا في اتخاذه طريق الاغتراب بعيدا عن مجتمعه.

25 عزيز السيد جاسم: الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ط، 1985م، ص 81.

26 الشريف الرضي: الديوان، جمع: إحسان عباس، مج 2، دار صادر، بيروت، د ط، 1958م، ص 529.

كما تحدث "أبو نواس"عن الخمرة في شعره لدلالة على انسلاخه وتمرده على مجتمعه، «فهو يجاهر بهذه العلاقة ويراها مناسبة جيدة لإعلان تمرده وانفصاله واختلافه»[27]، وبهذا فالخمرة نزعة هروبية من الواقع الذي لم يستطع الشاعر التكيف معه، يقول في قصيدته سكرة بعد سكرة:

أَلاَ فَاسْقِنِيْ خَمْرًا، وَقُلْ لِيْ هِيَ اَلْخَمْرُ وَلاَ تَسْقِنِيْ سِرًّا إِذَا أَمْكَنَ اَلْجَهْرُ[28]

رفض "أبو نواس" لما يجري في مجتمعه والاغتراب عنه، خطوة جعلته يعلن تعاطيه للخمرة في قوله الشعري، حيث وظف أسلوب الأمر قوله: (فاسقني خمرا)، ليصور لنا من خلال هذا الأسلوب معاناته من طرف مجتمعه الظالم.

يتضح لنا مما تقدم أن الاغتراب في العصر العباسي مرده الانفصال عن المجتمع، ومن شعراء هذا العصر الذين أثرت عليهم هذه الظاهرة "أبو علاء المعري" أدى به العمى إلى اغتراب نفسي واجتماعي، حيث عاش بين أحضان مجتمع لا يدرك قيمة هذه النعمة، أما "الشريف الرضي" فقد عملت القربة التي رأى بأنها قد تغيرت ولم تعد كما كانت عليه في الماضي وجرح وخذلان الأصدقاء على تغريبه عن مجتمعه، وأظهر "أبو نواس" في شعره تعاطيه للخمرة ليعلن تمرده واغترابه عن المجتمع.

27 كاميليا عبد الفتاح: الشعر العربي القديم دراسة نقدية تحليلية لظاهرة الاغتراب، ص .48

28 الحسن أبو نواس: الديوان، رواية: الصولي أبو بكر محمد بن يحى، تح: بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الكتب الوطنية، أبو ضبي، الإمارات، ط 1، 2010م، ص 96.

من خلال ما تقدم سابقا، اتضح لنا أن ظاهرة الاغتراب في الشعر العربي قديمة تعود إلى العصر الجاهلي، فنلحظ الاغتراب المكاني والنفسي للشاعر خاصة عند وقوفه على الطلل، كما ظهر الاغتراب الاجتماعي بسبب تصعلك الشاعر، ويمكن القول أن الاغتراب في الشعر الإسلامي أحس الشاعر به بسبب الفتوحات التي فصلته عن مجتمعه، إضافة إلى اغترابه أمام الموت، وعلى العموم الاغتراب في هذا العصر إيجابي لم يفرض عليه، كما اشتمل الشعر الأموي على مظاهر عديدة للاغتراب منها: الاغتراب السياسي، الاغتراب الاجتماعي، لكثرة تأزم الأوضاع في العصر الأموي، أما بخصوص الاغتراب في الشعر العباسي اغترب الشاعر عن مجتمعه لطغيان الخداع والزيف والنفاق فيه.

المبحث الثاني: الاغتراب في الشعر العربي الحديث:

يشكل الاغتراب بمختلف أنماطه ومظاهره معاني استلاب وانسلاخ الشاعر عن كل ما يحيط به، فلذلك الاغتراب لم يتوقف عند الشاعر العربي القديم، بل أخذ طريقه في الاستمرار، فقد تجرع ألمه أيضا الشاعر المحدث، لذلك سنحاول تقصي هذه الظاهرة عند شعراء حداثيين بتقديم نماذج شعرية تبين جوهر الاغتراب عندهم.

1 الاغتراب في الشعر الرومانسي:

يعتبر الشعر الرومانسي أكثر أنواع الشعر التي عرفت انتشارا في العصر الحديث، والتي لها علاقة بظاهرة الاغتراب، فعدم انسجام الشاعر الرومانسي مع واقعه حطم نفسيته، «فلم يكن الرومانتيكي عادة بالمرح ولا بالمتفائل، وإنما كان فريسة ألم مريرة بسبب الجفوة بينه وبين مجتمع لا يقدر ما فيه من نبل الإحساس، ونتيجة انهيار أماله الواسعة، وتعذر ضفره بالمثال المنشود، ولذا كان الحزن طابع الرومانتيكيين، وهو حزن

يدل على عزلتهم الروحية ونفورهم من أدواء المجتمع»[29]، حيث سجل الشاعر الرومانسي كل ما عاناه في إنتاجه الشعري، وعليه نلمح ظهور حركات شعرية رومانسية والمتمثلة في المدارس الأدبية الحديثة، حيث تجلت فيها ظاهرة الاغتراب بوضوح، ومن أهم هذه المدارس ما يلي:

أ الاغتراب عند شعراء مدرسة الديوان:

قام بتمثيل هذه المدرسة "عباس محمود العقاد"، عبد الرحمان شكري"، "إبراهيم عبد القادر المازني"، حيث يعتبر "عباس محمود العقاد" أكثر عرضة للاغتراب من بين هؤلاء الممثلين لإصابته بالعمى، والذي سبب له اضطراب واغتراب نفسي، وهذا ما عبر عنه في أبيات من قصيدته الشاعر الأعمى، «وهي تدور حول شكوى شاعر أصيب بالعمى، وحرم من رؤية مجال البهجة والإشراق من حوله، فانطوى على نفسه يجتر آلام الحرمان»[30]، يقول:

شَكَا الشَّاعِرُ اَلْبَاكِيْ عَمًى قَدْ أَصَابَهُ وَأَظْلَمُ مَا نَالَ اَلْعَمَى جَفْنَ شَاعِرِ

يَنُوحُ بِعَيْنٍ لَمْ يَذُعْ عِنْدَهَا اَلْبِلَى سِوَى نَبْحِ حُزْنٍ نَاضِبِ اَلْمَاءِ غَائِرِ[31]

من خلال ما صدر عن قول "العقاد" العمى الذي أصيب به كان العامل الأول والأساسي الذي جعله يدور في دوامة الاغتراب النفسي، فتحيلنا تكرار لفظة (عمى) إلى

29 محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، د ت، ص50.

30 إبراهيم عوض: فن الشعر العربي الحديث تحليل وتذوق، المنار للطباعة، القاهرة، د ط، 2006م، ص 74.

31 عباس محمود العقاد: ديوان من الدواوين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د ط، 2012م، ص 252.

جو الشاعر النفسي المعتم، كما نجد استخدامه المتعدد للأفعال (شكا، أصابه، أظلم، نال، ينوح، يذع) يدل على استمرار معاناته، وتأكيدا على حالته النفسية المضطربة، مما تشكل مساره نحو الانعزال والانفصال عن ذاته.

ب الاغتراب عند شعراء مدرسة المهجر:

جسد الشعر المهجري ظاهرة الاغتراب بمختلف أشكالها، حيث «كانت الهجرة فرارا من واقع أليم جثم على صدر الأحرار، والتماسا لواقع جديد يتنفسون فيه بحرية ويجسمون أحلامهم التي وئدت في غياهب الجور والطغيان السياسي»[32]، فقد شكلت الهجرة طريق لهروب الشاعر من قسوة واقعه، مغتربا في وطن غير وطنه، إلا أنه لم يسلم من الاغتراب فالاغتراب المكاني ولد له اغتراب نفسي، وعليه «نتيجة الإحساس بالاغتراب يشعر أن جمع المهجريين قد حرموا السعادة في بحرها الذي أحاط غيرهم بها، هذا إلى تساقطهم موتا واحدا إثر آخر هذا حزن نتيجة لوضع معين وظروف معينة وجد فيها المهجريون. وتعظم القسوة فتعظم الآلام والأحزان، ويقيم المهجريون هجرتهم فيرونها ليست غير أسر في محيط الهموم»[33]، وهذا ما راود شعراء مدرسة المهجر بقسميها: القسم الأول مدرسة الرابطة القلمية من أشهر شعرائها: "جبران خليل جبران"، "نسيب عريضة"، "إليا أبو ماضي".

32 صابر عبد الدايم: أدب المهجر "دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية، في الأدب المهجري"، دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1993م، ص 13.

33 نظمي عبد البديع محمد: أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 1976م، ص 475.

ففي حديثنا عن الاغتراب عند أحد شعراء الرابطة القلمية "جبران خليل جبران" فقد عانى من الاغتراب المكاني والنفسي لما هاجر من موطنه، حيث أن «الشعور الحاد بالاغتراب الذي أفعمت به نفس الشاعر في مهجره تبعا لإحساسه المرير باليأس والوحشة جعله غريبا لا عن الأهل والوطن فحسب بل عن الناس والعالم»[34]، يقول في قصيدته:

أَنَا غَرِيْبٌ فِيْ هَذَا اَلْعَالَمِ

أَنَا غَرِيْبٌ وَفِيْ اَلْغُرْبَةِ وِحْدَةٌ قَاسِيَةٌ وَوِحْشَةٌ مُوجِعَةٌ،[35]

أفصحت هذه الأبيات الشعرية عن غربة الشاعر المكانية، حيث عبر عن ألمه وغربته في المهجر بتكراره للفظة (غريب)، كما استخدم أسلوب الوصف ذاكرا العديد من الصفات (وحدة، قاسية، وحشة، موجعة) ليحيلنا إلى مدى معاناته في وطن الغير.

كما برزت ظاهرة الاغتراب في القسم الثاني من مدرسة المهجر وهي مدرسة العصبة الأندلسية، من أهم شعرائها: "جورج صيدح"، "إلياس فرحات"، "نعمة قازان".

يعد "نعمة قازان" من أهم شعراء مدرسة العصبة الأندلسية، أقحمه الاغتراب عن المكان داخل معاناة نفسية حادة، حيث «كان طبيعيا في مثل تلك الربوع النائية والبيئة الغريبة أن يشعر المهاجر العربي بالضياع، فلا الديار دياره ولا القوم قومه ولا اللسان لسانه. كل ما حوله غريب ويذكره بأنه غريب. فالاغتراب مسخ في عينيه كل ملامح

34 عمر الدقاق: ملامح الشعر المهجري، منشورات جامعة حلب، سوريا، د ط، 1978م، ص 107.

35 جبران خليل جبران: المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران الشعر، جمع وتقديم: أنطوان القوّال، دار الجبل، بيروت، ط 1، 1999م، ص 120.

الصورة الجميلة التي عرفها في وطنه وبدَّلت حاله حتى كاد هو أن ينكر نفسه»[36]، فقد طمس المهجر كل الصور التي كان الشاعر يألف مشاهدتها في وطنه، وهذا ما زاد من شدة الاغتراب لديه، يقول في إحدى قصائده:

غَرِيْبٌ أَرَانِيْ عَلَى ضِفَةٍ كَأَنِيْ غَيْرِيْ عَلَى ضِفَةٍ

فَحَتَى اَلْسَوَاقِيْ إِذَا نَغَّمَتْ كَأَنَ اَلْسَوَاقِيْ بِلَا نَغْمَةٍ

وَحَتَى اَلْحَسَاسِينُ لَوْ غَرَدَتْ كَأَنَ اَلْحَسَاسِينُ فِيْ بَحَةٍ

وَهَذِيْ اَلْنُجُومُ وَقَدْ شَعْشَعَتْ تَلُوحُ لِعَيْنِيْ بِلَا لَمْعَةٍ

وَكُنْتُ مَعَ اَلله فِيْ قَرْيَتِيْ فَصِرْتُ بِلاَ اَلله فِيْ غُرْبَتِيْ[37]

استهل الشاعر في هذه الأبيات من قصيدته بلفظة (غريب) ليصف حالة بعده واغترابه عن وطنه، كما دل التشبيه المتكرر في هذه الأبيات الشعرية على التحول والتغيير مستعينا بمعجم الطبيعة (ضفة، السواقي، الحساسين، النجوم) ليشير إلى شدة التغيير الذي حل بموطنه، وهذا ما زاد من لوعة الاغتراب عنده داخل مهجره.

ج الاغتراب عند شعراء مدرسة أبولو:

تزعم مدرسة أبولو "أحمد زكي أبو شادي"، "إبراهيم ناجي"، تدور معظم قصائدهم حول الشعور الشديد بالاغتراب، فنجد "أبو شادي" عبر عن عنائه النفسي، فبدت صورة

36 عمر الدقاق: شعراء العصبة الأندلسية في المهجر، منشورات دار الشرق، بيروت، ط 2، 1978م، ص 173.

37 المرجع نفسه، ص 173.

فراق الوطن والحرمان تجربة واضحة في شعره، ولذلك جاءت قصائده «مؤكدة صدق التجربة الشعورية في الحنين إلى الوطن الأم والعودة إلى مرابع الحمى، ونسمع هنا البث والشكوى من عذابات النوى»[38]، حيث يقول في قصيدته الضاحك الباكي:

يَا مَوْطِنًا كُلُّ مَا فِيْهِ يُؤَرِّقُنِيْ وَكُلُّ مَا فِيْهِ أَتْرَاحِيْ وَآلاَمِيْ[39]

استطاع "أبو شادي"من خلال هذا البيت الشعري الوصول إلى عمق تجربة الاغتراب، فالبيت الشعري لا يجسد غربته وبعد عن وطنه، بل إنه يخاطب الوطن ذاته (يا موطنا) ثم إن هذا الموطن لا يكاد يقترن إلا بالأقراح والهموم، والأرق الذي كابده الشاعر ناهيك عن الألم، وإن العيش فيه يثير الهموم المشار إليها ويكشف عن مدى حدة الاغتراب الذي اكتوى "أبو شادي" بناره.

من خلال ما تم التطرق إليه، يظهر لنا أن ظاهرة الاغتراب لها حضور بارز في الشعر العربي الحديث، والذي مثله الشعر الرومانسي بمختلف حركاته من بينها: مدرسة الديوان، مدرسة المهجر، مدرسة أبولو، فقاسى مختلف شعرائها من ويلات الاغتراب خاصة المكاني والنفسي.

38 نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر الاتباعية الرومانسية الواقعية الرمزية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1984م، ص 231.

39 أحمد زكي أبو شادي: الشعلة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د ط، 2012م، ص 117.

المبحث الثالث: الاغتراب في الشعر العربي المعاصر:

تعد ظاهرة الاغتراب من أهم الصفات المميزة لحياة الشاعر على مدى الأزمان، عانى منه في مشواره الدنيوي، حيث برزت هذه الظاهرة عند شعراء الشعر العربي المعاصر، مرتبطة بمعنى العناء والألم محدثة اضطرابات على مستوى كيانهم الوجداني، لذلك سنحاول عرض أهم الشعراء المعاصرين معاناة منها من مختلف أقطار الوطن العربي:

1 الاغتراب في الشعر الحر:

يعتبر الشعر الحر من أكثر أنواع الشعر التي عرفت انتشارا في عصرنا الحالي، من أبرز شعرائه "نازك الملائكة"، "بدر شاكر السياب"، حيث برزت فيه ظاهرة الاغتراب كباقي أنواع الشعر،وهذا ما سنحاول بيانه من خلال ما يلي:

أ الاغتراب في شعر نازك الملائكة:

عاشت الشاعرة العراقية "نازك الملائكة" حياة عاطفية مريرة، أخذتها نحو الانفصال عن ذاتها وعن مجتمعها، تائهة في عالم الاغتراب، «لذا يتفتق ذهن الشاعرة عن فكرة وضع حد لهذه التجربة بإعدام نفسها كما في قصيدتها «عندما قتلت حبي» فهي هنا كما تغترب عن الآخرين تغترب عن نفسها، وكما تقتل الآخرين تقتل نفسها، وراء ذلك هو الإحساس بعدم جدوى الحياة»[40]، فقد ورد على لسانها:

40 عبد الله أحمد المهنا: نازك الملائكة دراسات في الشعر والشاعرة، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، ط 1، 1985م، ص 448.

وَكَأَنَ اَلْلَيْلُ مِرْآَةٌ فَأَبْصَرْتُ بِهَا كُرْهِيْ

وَأَمْسَى اَلْمَيْتَ لَكِنِّيْ لَمْ أَعْثُرْ عَلَى كنهيْ

وَكُنْتُ قَتَلْتُكَ اَلْسَاعَةَ فِيْ لَيْلِيْ وَفِيْ كَأْسِيْ

وَكُنْتُ أُشَيِّعُ اَلْمَقْتُولَ فِيْ بُطْءٍ إِلَى اَلْرَمْسِ

فَأَدْرَكْتُ وَلَونُ اَلْيَأْسِ فِيْ وَجْهِيْ

بِأَنِيْ قَطُّ لَمْ أَقْتُلْ سِوَى نَفْسيْ[41]

الليل قرين الظلمة والوحشة، ولا يخترقه البعد دون ضوء أو واسطة، لكن "الملائكة" جعلت من الليل مرآة لها، وهو أسلوب مجازي يحمل إماءات على المعاناة النفسية لدى "الملائكة"، فلا يعقل أن تخترق ظلمة الليل لكنها استئنست بهذه الظلمة تعبيرا عن يأسها ومدى اغترابها عن واقعها المعيش.

ب الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب:

عاش الشاعر العراقي "بدر شاكر السياب" اغترابا نفسيا أليما، حيث وجد نفسه في محيط لا يسبب له سوى الجروح والأحزان، فكان هذا أهم دافع لاتخاذه طريق العزلة في دنياه، والتي بدورها أدت به نحو الانفصام عن كل ما يحيط به، حيث نلتمس عنده «قضية الاغتراب حيث تنفصل الذات عن ذاتها وعن اللآخرين»[42]، فنجد أن هذه القضية داهمته

41 نازك الملائكة: الديوان، مج 2، دار العودة، بيروت، د ط، 1997م، ص 339.

42 مجاهد عبد المنعم مجاهد: جماليات الشعر العربي المعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1997م، ص 87.

في مختلف جوانب حياته، وهذا ما يتصدر مختلف أعماله الشعرية، يقول في قصيدته يا غربة الروح:

يَا غُرْبَةَ الرُوحِ فِيْ دُنْيَا مِنَ اَلْحَجَرِ

وَاَلْثَلْجِ وَاَلْقَارِ وَاَلْفُولَاذِ وَاَلْضَجَرِ،

يَا غُرْبَةَ الرُوحِ.. لَا شَمْسٌ فَأَتَلَقُ

فِيْهَا وَلَا أُفُقُ[43]

نلمس في هذا الشاهد الشعري "لبدر شاكر السياب" ملامح الاغتراب الروحي بارزة من خلال اللغة الشعرية التي اعتمدها، ومن خلال جملة من المؤشرات المكونة للغة والشاهد معا، فافتتح هذا الشاهد بأسلوب النداء مع ما يحمله هذا النداء من لوعة لاغتراب الروح قائلا: (يا غربة الروح)، كما نجد الشاعر استعان بمعجم طبيعي خاص كالحجر، الفولاذ، الشمس. وكلها تدل على الصلابة والشدة، ولم يكتف بهذا فحسب؛ بل وظف أيضا أسلوب التكرار للإعراب عن اغترابه وتأكيده وذلك من خلال تكراره عبارة (يا غربة الروح)، ثم نلتمس الروح التشاؤمية من الأسلوب نفسه بتكرار أداة النفي (لا) في قوله: (لا شمس، لا أفق)، ومع ذلك كله استعان أيضا بالجمل الاسمية الدالة على التجارب التي تمثل الاغتراب الذي عناه.

إضافة إلى عزلة وغربة "السياب" الروحية، نجد اغترابه الاجتماعي بسبب الظروف المحيطة به، ففي بلده «جيكور تبدأ غربة السياب الاجتماعية، والتي ستقوده إلى تجارب

43 بدر شاكر السياب: الديوان، مج 2، دار العودة، بيروت، ط 2016م، ص 660.

مشبعة بالمرارة والألم.. ومن أبرزها تجاربه في الحب، والثورة، والحاجة، والحنين إلى الماضي، والمرض الوبيل»[44]، ومن هنا يظهر لنا أن الشاعر عاش العديد من التجارب الفاشلة في حياته، وهذا ما جعله ينفصل عن مجتمعه، ويعيش عزله روحية بعيدا عنهم.

3 الاغتراب في شعر محمود درويش:

يعد "محمود درويش" أحد شعراء القضية الفلسطينية، والذي تمزقت نفسيته لما فعله الاحتلال الصهيوني بوطنه "فلسطين"، وهذا ما عبرت عنه مختلف أعماله الشعرية، والتي رسمت لنا تفاصيل حياته المؤلمة، ورصدت وحدته وغربته النفسية، حيث استدعى هذا الشاعر العديد من الرموز الدينية في شعره كمعادلة ورمز لما كان يعيشه في وطنه، لعل من أبرزها شخصية النبي يوسف عليه السلام، فكلاهما عانى من الاغتراب والعزلة والقسوة والظلم، لذلك «لقد شكل يوسف بمعاناته رمزا حيا في نفس درويش، رمزا نابضا بمشاعر الوحدة والضعف وتوجس الخوف والخيانة، وربما الذل والعبودية والسلب»[45]، يقول في قصيدته أنا يوسف يا أبي:

أَنَا يُوسَفْ يَاأَبِيْ

يَا أَبِيْ

44 محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 1999م، ص 6.

45 عمر أحمد الربيحات: الأثر التوراتي في شعر محمود درويش، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د ط، 2006م، ص 77.

إِخْوَتِيْ لاَ يُحِبُونَنِيْ

لاَ يُرِيدُونَنِيْ بَيْنَهُمْ يَا أَبِيْ

يَعْتَدُونَ عَلَيَّ وَيَرْمُونَنِيْ بِاَلْحَصَى وَاَلْكَلاَمِ

يُرِيدُونَنِيْ أَنْ أَمُوتَ كَيْ يَمْدَحُونِيْ

وَهُمْ أَصَابُوا بَيْتَكَ دُونِيْ[46]

تصدر "محمود درويش" قوله الشعري بضمير المتكلم (أنا) للإفصاح عن ألمه ومعاناته النفسية متقمصا شخصية النبي يوسف عليه السلام، كما وظف أسلوب النداء المتكرر عدة مرات في قوله: (يا أبي) ليشير إلى مدى تحسره النفسي لما جرى لوطنه، موظفا أداة النفي (لا) لما تحمله من أبعاد الحرمان والنفي خارج الوطن، مستعينا بالعديد من الجمل الفعلية ليوحي إلى استمرار معاناته في ظلمات الاغتراب خاصة المكاني والنفسي.

4 الاغتراب في شعر أمل دنقل:

اقترنت ظاهرة الاغتراب عند الشاعر المصري "أمل دنقل" بالموت، وكنا قد أشرنا في الفصل الأول إلى هذه المسألة، فبعد الاغتراب الوجودي الذي ظهر مع فجر البشرية مع أدم عليه السلام وخروجه من الجنة. أرق الموت الإنسان كما أرق الشاعر "أمل دنقل" الذي وافته المنية بعد صراع مع مرض السرطان الذي ألزمه الفراش زمنا طويلا، وكتب

46 محمود درويش: الديوان، مج 2، دار العودة، بيروت، ط 1، 1994م، ص 359.

أنا ذاك العديد من القصائد مصورا معاناته، حيث «ظل دائمًا يبحث عن التوازن الصعب داخل هذا العالم المتواتر والمرفوض حوله، وداخل هذا التناثر الحاد في كيانه حتى انفجر كل شيء..وتمدد السرطان»[47]، حيث دفع هذا المرض "دنقل" إلى الوقوف حائرا أمام الموت ومغتربا عن كل ما يحيط به، وهذا ما عبر عنه قبل أيام قليلة من وفاته، قائلا في قصيدته ضد من:

فِيْ غُرْفَةِ اَلْعَمَلِيَاتِ،

كَانَ نِقَابُ اَلْأَطِبَاءِ أَبْيَضْ،

لَوْنُ اَلْمَعَاطِفِ أَبْيَضْ،

. . .

كُلُّ هَذَا يُشَيِّعُ فِيْ قَلْبِيْ اَلْوَهَنْ

كُلُّ هَذَا اَلْبَيَاضُ يُذَكِرُنِيْ بِاَلْكَفَنْ[48]

بدأ "أمل دنقل" أبياته الشعرية بالأسلوب الخبري، وذلك من خلال قوله: (في غرفة العمليات) ليسرد ما يحدث له في المستشفى، كما استخدم الأسلوب الوصفي ليقدم صورة عن غرفة العمليات التي تذكره بالموت ونهاية حياته، ولقد كثر ذكره للون الأبيض في شعره ليس للدلالة على الصفاء والنقاء في الحياة وإنما للدلالة على الكفن والموت والفناء.

47 عبلة الرويني: سيرة أمل دنقل الجنوبي، دار سعاد الصباح، الكويت، ط 1، 1992م، ص 111.

48 أمل دنقل: الأعمال الشعرية الكاملة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 3، 1987م، ص 368.

أثر الاغتراب على حياة الشعراء المعاصرين لعل من أبرزهم "نازك الملائكة" و"بدر شاكر السياب" و"محمود درويش" و"أمل دنقل"، فعدم الاستقرار النفسي الذي عاشوه كان نتيجة لعوامل منها: فقدان الحبيب، ظلم المجتمع، المنفى، المرض، الموت، كلها إشارات توحي إلى دخولهم في متاهات الاغتراب النفسي، الاجتماعي، المكاني، الوجودي.

نخلص في ختم هذا الفصل إلى أن ظاهرة الاغتراب في الشعر العربي لها حضور قوي في كتابات الشعراء العرب فلم تظهر في قصائد الشعراء الأقدمين فقط، بل نجد لها حضور في ثنايا كتابات الشعراء المحدثين والمعاصرين، فالشاعر بصفة عامة أصبح أسير الاغتراب لعدة عوامل أحاطت به والتي صعب عليه تجاوزها، فاغترب مكانيا سواء بالوقوف على منزل الأحبة والبكاء عليه، أو بالهجرة التي شكلت أحد أهم عوامل الاغتراب عن الوطن، أو الدخول في عالم المنفى الذي عمل على حرمانه ومحاصرته من العودة إلى أرض وطنه، كما اغترب نفسيا نتيجة فقدان الحبيب، لنجد أيضا وقفة الشاعر حائر أمام الموت مغتربا بذلك عن وجوده، فكل هذه الأسباب دفعت به إلى السير في فلك الاغتراب الذي لا منجاة منه حتى نهاية حياته.

الفصل الثالث

تجليات الاغتراب بين عز الدين المناصرة ومريد البرغوثي.

المبحث الأول: الاغتراب في شعر عز الدين المناصرة.

المبحث الثاني: الاغتراب في شعر مريد البرغوثي.

تمهيد:

تعتبر ظاهرة الاغتراب من أهم الظواهر التي عرَّفَ بها كلٌّ من "عز الدين المناصرة" و"مريد البرغوثي" كونهما فلسطينيان، فهذه الظاهرة انعكست عل أبناء الوطن الفلسطيني برمته نتيجة فضائع المحتل الصهيوني، والذي مارس عليهم كل صوّر القمع والاستغلال، فبات الفلسطيني في دوامة من الضياع والتشرد يتقطعه الاغتراب أينما حل وارتحل، وكان لهذا كله أثر في نفوس الشعراء الفلسطينيين فراحوا يعبرون عنها «كتجربة فقد ومأساة إنسانية جسيمة»[1]، مصوّرون أوجاعهم ومآسيهم في ظل الاغتراب.

وعليه يختص هذا الفصل بالقيام بدراسة موازنة لتجليات الاغتراب في شعري "المناصرة" و"البرغوثي"، وعليه سنحاول بيان خصوصية كل منهما في اغترابه، بالتركيز على أهم أنماط الاغتراب عندهما، ودلالاته، ورمزيته، وكيفية تشكله في شعرهما فنيا، كما سنحاول وضع تركيب بين التجربتين الشعريتين.

المبحث الأول: الاغتراب في شعر عز الدين المناصرة:

1 أنماط الاغتراب في شعر عز الدين المناصرة:

يعد "عز الدين المناصرة" أحد الشعراء الفلسطينيين المعاصرين والمتمسكين بقضية وطنهم، أجبره الكيان الصهيوني على الابتعاد عن بلده، فهذا الإجبار شكل طريقا لإحساس الشاعر بالاغتراب، فقد جاء شعره كغيره من شعر شعراء "فلسطين" المغتربين، «يرصد كل هذه الموجودات في عالم الحس، والأرض، والسياسة والحكم، وأقطار النفس

1 عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، المنيرة، القاهرة، د ط، 1988م، ص 489.

والشعور، وأعماق قلوب تستشرف الأمل، وعيون كوتها وتكويها نيران النكبة، وذل التشرد والاغتراب»[2]، وهذا ما سنحاول توضيحه من خلال ما يلي:

أ الاغتراب المكاني:

بعد "عز الدين المناصرة" عن موطنه الذي لم يراه منذ سنة 1964م ألَّم به كثيرا، ليجد نفسه وحيدا مغتربا بالبعد عن مكان نشأته، حيث اعتمد في قصائده على ذكر التراث العربي، وذلك بالتناص مع الشاعر الجاهلي "امرؤ القيس"، محاولا محاكاته ليعبر عما يشعر به، فقد رثى الأطلال كما رثها "امرؤ القيس" «حيث استخدم نفس المغانى ومنازل الأحباب والأطلال التي بكاها امرؤ القيس في مقدماته الطللية باعتبارها معادلات رمزية لمغانى الوطن السليب ومنازل أحبابه المهجورة فيه»[3]، بكى "عز الدين المناصرة" على أطلال بلده "فلسطين" موظفا نفس الأطلال التي بكاها "امرؤ القيس" قبله في معلقته، فكل من الشاعرين عاشوا التجربة نفسها، وإن كانت تختلف في جوانب منها: نفسية، فالبكاء وتجربة فقدان حبيبة الإنسان عند "امرؤ القيس" أما "المناصرة" فإن الحبيبة هي الأم وهي الوطن المقصود، يقول في قصيدته المعنونة ب قِفا...نبكِ:

يَا سَاكِناً سِقْطَ اللِّوَى
قَدْ ضَاعَ رَسْمُ المَنْزِلِ
بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ[4]

2 جابر قميحة: أدبيات الأقصى والدم الفلسطيني، مركز الإعلام العربي، مصر، ط 1، 2001م، ص 3.
3 على عشرى زايد: قراءات في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 1998م، ص 105.
4 عز الدين المناصرة: الأعمال الشعرية الكاملة، ج 1، جمعية البيت للثقافة والفنون «منشورات البيت»، الجزائر، د ط، 2009م، ص 9.

نلاحظ في هذه الأبيات الشعرية التي وردت على لسان "عز الدين المناصرة" أنها تقوم على التناص على مستوى الأمكنة الموجودة في شعر "امرؤ القيس" (سقط اللوى الدخول حومل)، حيث استخدمها "المناصرة" للدلالة على اغتصاب أرض بلده "فلسطين"، فقد غير من دلالتها، إذ هي معادلات رمزية لفضاءات فلسطينية معاصرة، ليجسد عبرها اغترابه عن وطنه وفقدانه له.

ابتعد "المناصرة" عن مسقط رأسه "فلسطين"، فقد عبر عن هذا البعد من خلال تقمصه لدور "امرؤ القيس" الباكي على وطنه، «فإن امرأ القيس الفلسطيني هو نفسه الباكي بين القدس والوادي العتيق، وذلك يجعل القدس بوصفها مكانًا مَعْلَمًا من المعالم التي تتحدد بها الجهات والأماكن، ويفتح أفق المسافة للوادي العتيق بوصفه مكانًا غير محدد، وذلك يوحي ببعد الشّقّة بينه وبين القدس، وما بين القرب والبعد توجد مأساة الفلسطيني المنفي الميّت، الذي يوصي بدفن عظامه تحت كرمته على الجبل العتيق في فلسطين/القدس»[5]، حيث قال في القصيدة نفسها:

وَبَكَيْتُ فَوْقَ الجِسْرِ بَيْنَ القُدْسِ، فَالوَادِيْ السَحِيقْ
وَصَرَخْتُ مِنْ يَأْسِيْ، وَمِنْ طُوْلِ السَفَرْ
لَوْ مَاتَ فَارِسُكَ المَجِيْدُ وَمَاتَ نَاطُورُ الشَجَرْ
فَادْفِنْ عِظَامِيْ، يَا حَبِيْبِيْ، تَحْتَ كَرْمَتِنَا، عَلَى الجَبَلْ العَتِيقْ[6]

5 إبراهيم نمر موسى: تجليات مقدسية في الشعر الفلسطيني المعاصر (دراسة أسلوبية)، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 10، ع 2، الإمارات، 2013م، ص 308.

6 عز الدين المناصرة: الأعمال الشعرية الكاملة، ج 1، ص 11.

صوَّرت هذه الأبيات الشعرية "للمناصرة" غربته المكانية عبر جملة من الإيماءات الواردة فيها، وذلك باستخدامه مجموعة من الجمل الفعلية والاسمية منها: (بكيت فوق الجسر، ومن طول السفر...)، مشيرًا أيضا بهذه الجمل إلى أهم الأماكن الفلسطينية التي وقف يناجيها من بعيد والمتمثلة في (الجسر القدس الوادي الجبل العتيق) لتمثل لنا هذه الأخيرة حسرته وألمه النفسي الناتج عن هذا البعد، مقدما في نهاية هذه الأبيات وصية دفنه في بلده.

ب الاغتراب النفسي:

تعد المواطن المناجاتية لدى "المناصرة" أحد أهم مظاهر الاغتراب النفسي الذي عاناه، «حين يحاور الشاعر ذاته ساعة أن يحدث انشطار نفسي في لحظات تأزمه أو شعوره بالاستلاب، فينكفئ على شجنه الداخلي»[7]، فقد نجم عن حوار الشاعر الداخلي صراعات واضطرابات نفسية، وهذا ما أفصح به في العديد من قصائده الشعرية منها: قصيدته راهب العزلة التي يقول فيها:

التَشَرُدُ لِيْ

التَمَزُقُ لِيْ

التَبَاعُدُ لِيْ[8]

7 يوسف رزوقة: عز الدين المناصرة شاعر المكان الفلسطيني الأول، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2008م، ص 319.

8 عز الدين المناصرة: الأعمال الشعرية الكاملة، ج 1، ص 306.

يبين هذا الحوار نفسية "المناصرة" اللامتوازنة، فالبعد عن "فلسطين" أثر على نفسيه المجروحة والضائعة، ناسبا إلى نفسه صفات (التشرد التمزق التباعد) للدلالة على انفصامه النفسي الذي عانى منه في أرض المنفى.

وقد لعبت الأوضاع المزرية التي عايشها "المناصرة" داخل منفاه على نفسيته، وأدخلته عالم الاضطرابات والتناقضات، ذاهبا في طريق الضياع والاغتراب، ذاكرا شخصية الشاعر "العرجي" للدلالة على ضياعه النفسي، حيث «أنّ صوت المناصرة يمتزج بصوت العرجي، فيتناغمان ويندمجان تمام الاندماج، ويتحدان في التجربة الشعرية. فكلٌ منهما يعبر عن ألمه وحزنه ومأساته »[9]، يقول في قصيدته أضاعوني :

قَالَ الشَاعِرُ المَنْفِيُّ، حِيْنَ بَكَى؟

"أَضَاعُونِيْ

وَأَيُّ فَتَى، أَضَاعُوْا "[10]

ينقل لنا هذا الشاهد الشعري معاناه "المناصرة" النفسية في المنفى، موظفا أسلوب الاستفهام في قوله: (وأي فتى أضاعوا)، ليوحي بذلك إلى إرهاقه النفسي متسائلا عن سبب نفيه الذي نجم عنه الضياع.

9 إبراهيم منصور الياسين: الرموز التراثية في شعر عز الدين المناصرة، مجلة جامعة دمشق، مج 26، ع 3 + 4، دمشق، سوريا، 2010م، ص 270.

10 عز الدين المناصرة: الأعمال الشعرية الكاملة، ج 1، ص 109.

ج الاغتراب السياسي:

إن ضغوطات السلطة السياسية الاستعمارية الاستيطانية العنيفة التي طبقت في حق أبناء الوطن الفلسطيني، بما فيهم "عز الدين المناصرة" كانت دافعا حول اغترابه عن السياسة، متخذا منها عدة مواقف مجسدا إياها في شعره، وعليه إن «موقف الشاعر من الحوار السياسي مع العدو الذي يتجسد في شخص عاموس عوز الذي يصفه الشاعر في قصيدته (بدو بحريون) بأنه (الروائي الذي لم يقل الحقيقة مرة واحدة...) حيث يرفض الشاعر الحوار معه لعنصريته وإيديولوجيته الصهيونية»[11]، يقول:

إِنْ كُنْتَ صَادِقاً،

عُدْ إِلَى بِلاَدِكَ الأَصْلِيَّةِ،

وَأَنَا أَعُودُ إِلَى بِلاَدِيْ الأَصْلِيَّةِ.

لَنْ أَتَحَاوَرَ مَعَهُمَا، أَيُهَا الحَرِيْصُونَ عَلَى العَجْزِ.[12]

عاش الشاعر بين أحضان المنفى، فوجد في ظلم وتعسف السلطة السياسية الصهيونية سببا في اغترابه عن سياسة وطنه، وذلك من خلال رفضه للحوار مع الكيان الصهيوني، وفي حديثه عن تاريخ مدينة "كنعان" مثل اغترابه عن السياسة، قائلا: «باختصار أريد

11 يوسف رزوقة: عز الدين المناصرة شاعر المكان الفلسطيني الأول، ص 175.

12 عز الدين المناصرة: الأعمال الشعرية الكاملة، ج 2، جمعية البيت للثقافة والفنون «منشورات البيت» الجزائر، د ط، 2009م، ص 91.

لملمة أجزاء الهوية الحضارية الفلسطينية شعريًا، أما السياسة بالمعنى البراغماتي، فلا علاقة لي بها في هذا المجال»[13].

2 الفضاء الشعري وتجربة الاغتراب عند عز الدين المناصرة:

لقد شكل المكان بصفة عامة عمق اغتراب ومعاناة الشاعر، كون أن «مدلول الاغتراب يتّخذ مكانيّا بعدين مختلفين: بعد يتعلّق بالانفصال عن المكان المغترب عنه، وبعد ثان يتعلّق بالانفصال عن المكان المغترب فيه، وبذلك ينزلق مفهوم الاغتراب إلى داخل الذّات ليستقرّ فيها ويصبح مصدر توتّر وتأزّم لا نهاية لهما»[14]، وهكذا وجد "المناصرة" نفسه يتألم للمكان الذي اغترب عنه، ويعاني في المكان الذي اغترب فيه ، ألا وهو المنفى، حيث له رأيه الخاص حوله يقول: «كل شبر خارج فلسطين منفى. حيث صراع الروح وانكسار الأشواق»[15]، حيث عمل المنفى على محاصرته، داخلا بذلك في حياة الاغتراب والضياع بعيدا عنه، «وقد كان المناصرة مدركا لهذه الحقيقة المُرَّة منذ ديوانه الأول "يا عنب الخليل" والذي يؤكد فيه أن المنفى قفر ملغوم، لا يستطيع الفلسطيني أن يعش فيه الحياة التي يرتضيها لنفسه ويدرك أن المنفى سيقوده إلى منفى أخر يفقده ذاته، ويسلب هويته، ويسرق عمر حياته، ويشعره بالوحدة والاغتراب وعدم الانسجام مع من حوله»[16]، يقول في قصيدته التوقيعات:

13 يوسف رزوقة: عز الدين المناصرة شاعر المكان الفلسطيني الأول، ص 228.

14 سليم ريدان: المغرب في ضمير أدبائه، دار سحر للنشر، المغرب، د ط، 2005م، ص 66.

15 عز الدين المناصرة: بالحبر الكنعاني نكتب لفلسطين وبالدم أيضا (الثورة الفلسطينية 1964م 1994م)، الصايل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2012م، ص 349.

16 حسام التميمي: الخليل في شعر المناصرة، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، مج 16، ع 1، جامعة القدس، فلسطين، 2002م، ص 343.

أَبْحَرْنَا فِيْ المَنْفَى...وَالمَنْفَى قُفْرٌ مَلْغُومْ

البَحْرُ يُنَادِيْنَا، وَالشَطُ الصَخْرِيُّ المَعْلُومْ[17]

تجسد لنا هذه الأبيات الشعرية عن مدى طول غربة الشاعر عن "فلسطين"، حيث عمل على تصوير المنفى بالبحر قوله: (أبحرنا في المنفى) للتعبير عن مأساته العميقة وحالته واللامتوازنة والمغتربة فيه، كما وظف الأسلوب المجازي في قوله (المنفى قفر ملغوم) للدلالة على صعوبة العيش في المنفى.

3 الرمز وأثره في تجربة الاغتراب عند عز الدين المناصرة:

يشكل الرمز بمختلف أنواعه ديني، تاريخي، أسطوري، صورة لاغتراب الشاعر المعاصر، فما تعرضت له الشخصية الرمزية في مسيرة حياتها، استدعاها الشاعر وطبقها على واقعه المعاش، وذلك «بما يتواءم مع حالته النفسية، وينسجم مع رؤيته الخاصة»[18]، وهذا ما فعله "عز الدين المناصرة" عاد إلى العصر اليوناني مستدعيا العديد من الأساطير لعل من أهمها أسطورة إيكاروس* للتعبير عن مأساته، يقول في قصيدته تشمع كبد إيكار:

17 عز الدين المناصرة: الأعمال الشعرية الكاملة، ج 1، ص 106.

18 صالح أبو إصبع: الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1979م، ص 123.

* **إيكاروس:** وهي أسطورة يونانية معروفة، تقول بأنّ (ددال) أب (إيكار) صنع متاهة لأحد الملوك ولم يستطيع الخروج منها، فصنع أجنحة وألصقها بالشمع وطار، وقد حذّر ابنه من التحليق قُرب الشمس، لكنه لم يسمع أمر والده واقترب، فذاب الشمع وسقط في الماء. نقلا عن: وليد بوعديلة: شعرية الكنعنة (تجليات الأسطورة في شعر عز الدين المناصرة)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2009م، ص 209.

هُوَ سَيَحْتَرِقُ بِشَمْسِهِ

وَأَنَا سَيُذَوِّبُنِيْ المَنْفَى مِثْلَ شَمْعَةِ

هُوَ يَتَّحِدُ بِعَبَاءَةِ العُشْبِ السَمَاوِيْ

وَأَنَا أَنْحَلُ فِيْ تُرَابِ المَنَافِيْ الصَخْرِيَةِ

تِلْكَ مَشِيْئَةِ عَدَمْ التَخْطِيْطِ يَا إِيْكَارُوسْ[19]

عمد "المناصرة" في هذا المقطع الشعري على توظيف ضمير الغائب (هو) الذي يمثل الشخصية الأسطورية ايكاروس، والضمير المتكلم (أنا) ليمثل مأساته، حيث أن كلاهما تذوق مرارة الاغتراب، «فايكار احترق بالشمس والشاعر يحرقه المنفى، الأول يتناثر بين فضاءات السماء والثاني ينحل بين أعماق أرض غير أرضه وتربة ليست تربة أجداده، والسبب الذي يحرقهما واحد، أنه عدم التخطيط، لكن السبب عند الشاعر الفلسطيني لا يقتصر على ذات/ وعي الإنسان الفرد فقط وإنّما يشمل الجماعة بأسرها»[20]، فجعل هذا الشاعر من الأسطورة رمزا للتعبير بصورة غير مباشرة عن عذابه بالمنفى.

كما وظف "المناصرة" رموزًا دينية قديمة في شعره، توحي إلى إحساسه بالتشرد واللامعنى للحياة، والاغتراب في المنافي، لعل من أهمها: قصة المسيح عيسى عليه السلام، حيث أنه «قد شاع تصوير الإنسان الفلسطيني المشرد بالذات في صورة المسيح

19 عز الدين المناصرة: الأعمال الشعرية الكاملة، ج 2، ص 66.

20 وليد بوعديلة: شعرية الكنعة (تجليات الأسطورة في شعر عز الدين الناصرة)، ص 211.

الذي يتحمل محنة الصلب»[21]، فرأى في هذه الشخصية رمزا لاغترابه وعزلته، يقول في قصيدته قصيدة جهوية:

أَنَا...وَالمَسِيحْ

مَشَيْنَا عَلَى الشَوْكِ،

ثُمَّ المَسَامِيرْ،

ثُمَّ جُرْجِرْنَا وَرَاءَ الخُيُولْ[22]

استعار "المناصرة" رمزا دينيا ألا وهو شخصية المسيح عليه السلام، وقد وفق في هذا الاختيار إلى حد بعيد كون تجربة الاغتراب لها أساس ديني أيضا، ففكرة الموطن القومي لليهود قائم على فكرة دينية، تزعم أنهم أصحاب الأرض الأصليين وما يلاحظ على هذا الشاهد هو التدرج في العذاب من المشي على الشوك فالمسامير ثم الجرجرة وراء الخيول، فاستحضار رمز المسيح يبرز مرارة الاغتراب الذي عاناه "المناصرة"، كون هذا العذاب معروف لدى المتلقي، ولذا عمل على توظيف المسيح كأيقونة ورمز للعذاب الصهيوني.

21 على عشرى زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 1997م، ص 84.

22 عز الدين المناصرة: الأعمال الشعرية الكاملة، ج 2، ص 202.

4 الاغتراب والتشكيل الفني في شعر عز الدين المناصرة:

لن يقتصر رصد الاغتراب في تجربة "المناصرة" موضوعاتيا فحسب، بل وكذلك فنيا وهذا ما سنقوم به في هذا المبحث بالتركيز على الصورة والتصوير الشعري نظرا لارتباطه الوثيق بالظاهرة المدروسة فضلا عن اللغة الشعرية أيضا.

أ تجليات الاغتراب على مستوى الصورة الشعرية:

تعتبر الصورة الشعرية ملخص لتجربة حياة مر بها الشاعر، تحمل العديد من اللوحات التي تعبر عن كيانه الوجداني، «فبواسطة الصورة يشكل الشاعر أحاسيسه وأفكاره وخواطره في شكل فني محسوس، وبواسطتها يصور رؤيته الخاصة للوجود والعلاقات الخفية بين عناصره»[23]، تتكون من صور حسية وصور ذهنية، فنقل "المناصرة" ألامه وأحزانه التي تعرض لهما في منفاه عبر الصور الشعرية، وهذا ما سنحاول توضيحه من خلال ما يلي:

الصورة الحسية:

تقوم الصور الحسية على تقديم صورة لا تكاد تخرج عن الحواس الخمسة (صورة سمعية، صورة بصرية، صورة شمية، صورة ذوقية، صورة لمسية)، فمدونة "المناصرة" لا تكاد تخلوا من هذا النمط الحامل لتجربة الاغتراب لديه.

23 على عشرى زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، ط 4، 2002م، ص 65.

*** الصورة البصرية:**

تقوم هذه الصورة على توظيف الألوان بنسبة كبيرة، وظفها "المناصرة" لبيان حالة اغترابه في أرض المنفى، فقد شكل اللون الأسود بالنسبة له «لون الحزن والكآبة والحداد والغربة والمنفى»[24]، فعبر هذا اللون رسم الشاعر مأساته، يقول في قصيدته فقا نبك:

أكلتني الغربة السوداء، يا قبر عسيب[25]

وظف "المناصرة" الاستعارة المكنية لوصف الغربة وهي شيء معنوي وشبهه بالشيء المادي الذي له لون وطعم ورائحة، وقد اختار لون السواد لوصف حالة الغربة التي يعيشها، فالغربة كآبة، واللون الأسود الكآبة، وكأن "المناصرة هنا يريد أن يؤكد اغترابه عن طريق هذه الصورة الحسية.

*** الصورة السمعية:**

إن أهم ما يميز هذا النوع من الصور هو الصوت، فعبر الشاعر عن جرحه النفسي وألم بعده عن وطنه من خلالها، يقول في قصيدته كنيسة القيامة:

مَحَطَّةُ اَلْخَلِيلْ

تَضُجُّ بِاَلْأَصْوَاتِ وَاَلْرَحِيلِ

اَلْعِنَبُ اَلْمَبْحُوحُ فِيْ اَلْرَحَاتِ وَاَلْخَنَاجِرِ[26]

24 حيدر محمد جمال سيد أحمد: إيقاع الألوان في شعر عز الدين المناصرة، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، مج 20، ع 1، جامعة دمشق، دمشق، 2012م، ص 111.

25 عز الدين المناصرة: الأعمال الشعرية الكاملة، ج 1، ص 13.

26 المصدر نفسه، ج 1، ص 60.

قدم "المناصرة" في هذه الأبيات الشعرية صورة لمحطة بلده "الخليل" الذي رحل عنها منذ وقت طويل، موظفا استعارة مكنية للدلالة على اغترابه عن وطنه "فلسطين"، حيث شبه أحد الثمار الموجودة في بلده (العنب) بصوت الإنسان (المبحوح)، وقد وظف (الرحى والخنجر) ليعبر عن المجازر التي ارتكبت في حق أبناء وطنه، مبينا عبر هذه الصورة السمعية حالة اغترابه والوضعية التي آل إليها بلده.

ب تجليات الاغتراب على مستوى اللغة الشعرية:

الشعر لغة وتصوير في المقام الأول، وباللغة يصور الشاعر بدلا من الأدوات التي يستهلها غيره، وللغة أثر بارز في إدراك طبيعة التجربة الشعرية، غير أن الذي يهمنا هنا هو اللغة وأثرها في حمل ظاهرة الاغتراب، وإن كنا قد أشرنا إلى بعض ذلك من من خلال عنصر الصورة الشعرية، والحقيقة أن هناك مقومات أخرى لبيان اللغة المغتربة أو اللغة الواصفة للاغتراب ويتجاوز ذلك في الحقل المعجمي، فشعر "المناصرة" قائم على معجم خاص ينسجم والروح المغتربة التي ميزته، وهو ما ندركه مع حقول الألم والحنين وهنالك حقول أخرى أردنا إيرادها لكن لم يسمح لنا معجم الفصل بذلك، فإن هذه الأمثلة على سبيل المثال لا الحصر.

حقل الألم:

دفع شعور "المناصرة " بالألم إلى الاغتراب عن ذاته، فكان فراق الوطن سببا وجيها في زيادة شدة الاغتراب لديه، وهذا ما يبينه المعجم الشعري للعديد من القصائد منها: قِفا...نبكِ، توقيعات، المقهى الرمادي، أضاعوني، سجلّات البحر الميّت، قمر جرش كان

حزينا، لذلك عملنا على انتقاء قصيدة قِفا...نبك ودراسة ألفاظها الدالة على نفسيته المغتربة، عبر الجدول التالي:[27]

الألفاظ الدالة على الألم	بكيت صرخت يأسي تحرق فادفن الموت انكسر الفراق ضاع أهذي أتدعثر الجمر ضيعوني الغربة.

يتضح من خلال هذا الجدول أن الشاعر عمل على تجسيد الألم الذي كان يعانيه، فكل هذه الألفاظ توحي إلى ألمه النفسي واغترابه في المنافي، وكلها تتداخل ويستلزم بعضها بعضا، فالموت لا يكون دون صراخ أو هويل، وهذان يفضيان إلى حزن وغم، وهكذا يتضافر المعجم الشعري لبيان حالة الاغتراب التي عاشها "المناصرة".

حقل الحنين:

تنبض مختلف الأعمال الشعرية "لعز الدين المناصرة" بالعديد من المدن الفلسطينية، وهذا إن دلَّ فإنه يدلُّ على شوقه وحنينه إلى موطنه الذي اغترب عنه والذي طال غيابه عنه، فقد احتفل معجمه الشعري بالعديد من الألفاظ التي توحي إلى حنينه إلى "فلسطين"، وهذا ما أوضحته مختلف قصائده الشعرية منها: جفرا أمّي، إن غابت أُمّي، جفرا...لا تُؤاخذينا، جفرا...دثّريني لأنام، حنينٌ يفلق البحر، يتوهَّج كنعان، فنجد في قصيدته

27 عز الدين المناصرة: الأعمال الشعرية الكاملة، ج 1، ص 11 12 13.

جفرا...لا تُؤاخذينا العديد من الألفاظ التي توحي إلى حنينه، وهذا ما يبينه الجدول التالي:[28]

الألفاظ الدالة على الحنين	أغويك تجرحني ذكراك أبكيك المجروح مقروحْ أتسلّلُ ناديتُكِ أشتاقك أتمزع الدمع القهر حنين.

تبين مفردات هذا الجدول عن مدى الحنين الذي تكبد نفس الشاعر إلى بلده "فلسطين"، فعلى الرغم من غيابه وفقدانه له، إلا أنه في منفاه لا يزال يتذكره ويشتاق إليه.

من خلال ما تقدم يمكن القول بأن الشاعر الفلسطيني "عز الدين المناصرة" قاسى مأساة الاغتراب المكاني الذي أرغم عليه من طرف الاحتلال الصهيوني، متنقلا عبر المنافي متذوقا ألم فراق وطنه، ليدخل في مأساة الاغتراب النفسي، حيث عبر عن معاناته من السلطة السياسية المتغطرسة، وقد استحضر رموز تاريخية لتدل على اغترابه، كما رسمت كل من الصورة الشعرية واللغة الشعرية ملامح اغتراب وعذاب "المناصرة".

المبحث الثاني: الاغتراب في شعر مريد البرغوثي:

1 أنماط الاغتراب في شعر مريد البرغوثي:

يعد "مريد البرغوثي" من أبرز الشعراء الفلسطينيين المعاصرين، والذين ألمهم لما جرى لوطنهم "فلسطين"، أرغمته الظروف على الغياب عن الوطن مدة طويلة، مما أدى

28 عز الدين المناصرة: الأعمال الشعرية الكاملة، ج 2، ص 11 12 13 14 15 16.

به إلى السير في وطأة الاغتراب خاصة المكاني والنفسي والسياسي الذي أحاط بدائرة حياته، وهذا ما سنحاول بيانه من خلال ما يأتي:

أ الاغتراب المكاني:

لا يختلف "البرغوثي" كثيرًا عن "المناصرة" من هذا البعد باعتبار وحدة التجربة التي جمعتهما، فكلاهما اكتوى بنار الاحتلال الصهيوني، و"للبرغوثي" رأيه الخاص حول هذه الظاهرة، يقول في كتابه النثري «رأيت رام الله»: «الغربة لا تكون واحدة. إنما دائما غربات. غربات تجتمع على صاحبها وتغلق عليه الدائرة. يركض والدائرة تطوّقه. عند الوقوع فيها يغترب المرء «في» أماكنه و«عن» أماكنه»[29]، وعليه تألم "البرغوثي" أثناء فترة غيابه عن وطنه، وهذا ما صورته أبيات من قصيدته طال الشتات يقول فيها:

طَالَ الشَتَاتُ وَعَافَتْ خَطْوَنَا اَلْمُدُنُ وَأَنْتَ تُمْعِنُ بُعْدًا أَيُهَا اَلْوَطَنُ

كَأَنَ عِشْقُكَ رَكْضٌ نَحْوَ تَهْلُكَةٍ وَنَحْنُ نَرْكُضُ وَلَا نُبْطِيْ وَلَا نَهِنُ[30]

يفصح القول الشعري "للبرغوثي" عن ملامح الاغتراب المكاني وطول مدة غيابه عن وطنه، خاصة في قوله: (طال الشتات)، كما اعتمد على ذكر الصورة الشعرية (كأن عشقك ركض نحو تهلكة) حيث شبه عشقه لوطنه بالهلاك، وهذا لطول شوقه وحنينه إليه.

29 مريد البرغوثي: رأيت رام الله، تقديم: إدوارد سعيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 4، 2011م، ص 157.

30 مريد البرغوثي: طال الشتات، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 85.

وعليه سجلت عودة "البرغوثي" إلى "فلسطين" بعد سنوات طويلة من الغياب تجسيدا حقيقيا لمشاعر الاغتراب عنده، حيث أن «العودة إلى الوطن لا تعني من قريب ولا بعيد نهاية الاغتراب، فالإنسان المهاجر المشتت أو اللاجئ منذ أكثر من ربع قرن وربما نصف قرن، لا يمكن أن يرجع إلى ليعود إلى أرضه وبيئته وأصدقائه وأقربائه ليجدها كما كانت عليه قبل العودة. إذ هناك دائما تشابك بين الحنين والنستاليجيا* والاغتراب عند الإنسان الذي تطول به الغربة، ولذا يبقى خارجيا حتى ولو كان في الداخل»[31]، فبعد أعوام من الغياب قصد الشاعر مسقط رأسه "دير غسانة" "بفلسطين" متوجها نحو دار رعد، ليصطدم بجدار التحول الذي عرفته هذه المدينة، واقفا على أطلال هذه الديار قائلا:

هَلْ دَارُ رَعْدِ لَا تُرِيدُ قِصَتِيْ عَنْ دَارِ رَعدْ؟

هَلْ نَحْنُ فِيْ اَلْوَدَاعِ وَاَلْلِقَاءِ نَحنْ؟

هَلْ أَنْتِ أَنْتِ؟ هَلْ أَنَا أَنَا؟

هَلْ يَرْجَعُ اَلْغَرِيْبُ حَيْثُ كَانْ؟

* **النوستاليجيا:** للنوستاليجيا جذور في اللغة اليونانية إذ إنّه مأخوذ من (nostas) بمعنى الرجوع و(algos) بمعنى الألم. والنوستاليجيا في اللغة بمعنى الإحساس بالألم والتحسر على ما مضى وما فات وجاء معادل النوستاليجيا في المعاجم كالأتي: النوستاليجيا: الحنين والشوق المفرط للرجوع إلى الماضي، وحنين الغربة والتحسر على الماضي والحنين للأهل والوطن وأيام الطفولة والصبا. نقلا عن: عزت ملا إبراهيمي، صديقة جعفري نزاد: مظاهر النوستاليجيا في شعر إمرئ القيس، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، ع 1، جامعة بابل، طهران، 2018م، ص 15.

31 آلاء أحمد نعيم قرمان: سرديات رام الله في الأدب الفلسطيني (فاروق وادي ومريد البرغوثي نموذجا)، إشراف: عادل الأسطة، أطروحة مقدمة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، (2015م 2016م)، تاريخ المناقشة: 2015/9/20م، ص 83.

هَلْ يَعُودُ نَفْسَهُ إِلَى المَكَانْ؟[32]

كشف الاستفهام في هذه الأبيات الشعرية عن تفجع "البرغوثي" لما صارت عليه دار رعد، كما ارتبط بالوقوف على الطلل ومسائلة هذه الدار، وعليه بين هذا الأسلوب موقف الشاعر المغترب والمؤلم من هول الحوادث والتغييرات التي طرأت على وطنه.

ب الاغتراب النفسي:

لم ينسلخ "البرغوثي" عن الوطن فقط بل انسلخ عن نفسه أيضا، فالمأساة التي عاشها في منفاه أدخلته في دنيا الكآبة والحزن والضياع، وعليه «لقد خسر الفلسطيني جزءا من عالمه الداخلي ويشعر أنه سيظل ناقصا ومشوها إلى أن يعود إلى بلاده ويستعيد ذاته»[33]، فالظلم الذي ارتكب في حقه جعله يأخذ طريقه إلى الانفصال عن ذاته، يقول في قصيدته أنتِ وأنا:

وَأَنَا مَخْلُوعُ اَلْقَلْبِ كَاَلْبَاحِثِ بَيْنَ اَلْأَنْقَاضْ[34]

يعرف "البرغوثي" نفسه في مقدمة هذا الشاهد الشعري، بتوظيفه ضمير المتكلم (أنا) للإشارة إلى غربته وعذابه في أرض المنفى، مما تسبب له جرح الروح.

تأوهت نفسية "البرغوثي" ببعده عن "القدس"، حيث عمل على عقد قرينة بين "رضوى" و"القدس" ليعبر عما يختلج صدره، «فيجد توجع القدس صداه في قلب

32 مريد البرغوثي: رأيت رام الله، ص 67.

33 حليم بركات: غربة الكاتب العربي، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط 1، 2011م، ص 275 276.

34 مريد البرغوثي: طال الشتات، ص 70.

رضوى نفثات حارة مبطنة بالإيحاء الدلالي. والكشف الروحاني لأبعاد الأزمة النفسية التي فرضت على ذات الشاعرة وشخوص القصيدة وأماكنها، التي يخاطبها الشاعر بوصفه طفلها الراعي»[35]، حيث ألحقت طول المسافة بينه و"القدس" الضرر على نفسيته، وهذا ما جعله يغترب عنها، يقول في قصيدته رضوى:

وَهَلْ لِيْ أَنْ أُسَاوِيكِ

سِوَى بِعَذَابِ وَادِيْ اَلْنِيلِ أَوْ بِتَوَجُّعِ اَلْقُدْسِ

خُذِيْ صَوْتِيْ اَلْذِيْ يَنْسَابُ مُتَجِهًا إِلَيْكِ

مُضَيِّعَ اَلْخُطُوَاتِ عَبْرَ مَجَاهِلِ اَلْدَرْبِ

أَلَا يَا ضَبْيَةً شَرَدَتْ وَرَاءَ اَلْبَحْرِ

إِنِيْ طِفْلُكِ اَلْرَاعِيْ[36]

استهل "البرغوثي" هذه الأبيات الشعرية بأسلوب الاستفهام قوله: (وهل لي أن أساويك سوى بعذاب وادي النيل أو بتوجع القدس)، موجها هذا السؤال إلى "رضوى" والذي عمل على توظيفها كرمز يدل على وطنه، ليكشف عن حالته النفسية المضطربة والمغتربة، كما قدم صورة يصف فيها ضياعه قوله: (مضيع الخطوات عبر مجاهل الدرب) وهو أسلوب مجازي يشير إلى مأساته النفسية التي عاشها في دروب المنفى المجهول.

35 إبراهيم نمر موسى: تجليات مقدسية في الشعر الفلسطيني المعاصر (دراسة أسلوبية)، ص 308 309.

36 مريد البرغوثي: قصائد مختارة، وزارة الثقافة الفلسطينية بالتعاون مع دار الفاروق للثقافة والفكر والعلوم والآداب، نابلس، د ط، 1996م، ص 64 65.

ج الاغتراب السياسي:

عاش "البرغوثي" تحت ظل القرارات السياسية الظالمة المرتكبة في حقه، والتي كانت سببا في اغترابه عن "فلسطين" وعن أسرته، يقول في قصيدته أبو منيف:

بَيْنَ دَاءِ اَلْبَرْلَمَانِ وَشَكْلِ اَلْاقْتِصَادِ

وَبَيْنَ أَنْ لَا يَلْتَقِيْ نِصْفِيْ بِنِصْفِيْ[37]

فالسياسة ممثلة في وضع الاحتلال الصهيوني، وما ترتب عنه في المنفى تحت حكم السادات، حيث لعبت دورا في فصل الشاعر عن وطنه ليقاسي من الشتات والاغتراب.

لم يسلم "البرغوثي" حتى في المنفى من تعسف السياسة ،خاصة عندما عاش فترة معينة في "مصر" فقد ورد على لسانه بأن «حياته الشخصية شكلتها قرارات سياسية وقال: أليس محمد أنور السادات هو من طردني من مصر وتميم عمره 5 أشهر، وكانت رضوى هي المسؤولة عن شؤون هذا الطفل الصغير وعن عالمها الأكاديمي وهموم الحياة، بينما أنا أعيش بعيدا»[38]، وقال أيضا: «السياسة تسقط علينا كالنيزك»[39]، وعليه شكلت السلطة السياسية حاجزًا منعت الشاعر من العيش داخل وطنه كما منعته من العيش مع عائلته، مما قاده نحو الاغتراب.

37 مريد البرغوثي: طال الشتات، ص 37.

38 مريد البرغوثي: حياتي الشخصية شكلتها قرارات سياسية الرأي. 2019/4/19م، 13:48.

https://www.alraimedia. com

39 المرجع نفسه.

2 الفضاء الشعري وتجربة الاغتراب عند مريد البرغوثي:

ضم رحاب المنفى "مريد البرغوثي" الذي كان سببا في كسر نفسيته، مغتربا بين أنحائه، حيث «يجبر المنفى المرء على التفكير فيه ويا لها من تجربة فضيعة. إنَّه الشرخ المفروض الذي لا التئام له بين كائن بشري ومكانه الأصلي، بين الذات وموطنها الحقيقي؛ فلا يمكن البتّة التغلّب على ما يولّده من شجن أساسي»[40]، فالألم الذي ألحقه المنفى على نفسيته جعله مغتربا، مقيما بذلك صلة بين المنفى والموت للدلالة على شدة ألمه لفراق موطنه ، يقول في قصيدته أبو منيف:

وَتَمُوتُ فِيْ اَلْمَنْفَى

وَمَنْ مَنْفَى سِوَاهُ

يَطِيرُ وَحْشُ اَلْنَّعْيِ

مِنْ مَنْفَى إِلَى مَنْفَى وَتَبْتَعِدُ اَلْبِلَادُ

بِخُبْزِهَا وَجِرَارِهَا وَمُنَمْنَمَاتِ اَلْعُشْبِ فِيْ

أَسْوَارِهَا،[41]

خيبة أمل "البرغوثي" في الرجوع إلى موطنه، جعله يعبر عن الموت في المنفى وذلك من خلال تكراره للفظة (منفى) لما تحمله هذه اللفظة من معنى البعد والحرمان من

40 إدوارد سعيد: تأملات حول المنفى، تر: ثائر ديب، دار الآداب للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط 2، 2007م، ص 117.

41 مريد البرغوثي: طال الشتات، ص 34 35.

الوطن، وعليه إن الدخول في حياة المنافي حتما سيذكره بالموت الذي يصبح مصيرا لا مفر منه، وهذا ما أدخله حيز الاغتراب.

3 الرمز وأثره في تجربة الاغتراب عند مريد البرغوثي:

لجأ الشاعر المعاصر إلى التعبير عن واقعه الأليم من خلال العودة إلى التراث، موظفا شخصيات عانت من الاغتراب تطابق واقعه المعاش، إضافة إلى توظيف أساطير دارت أحداثها حول المعاناة من هذه الظاهرة، ومن بين الأساطير التي وظفها "البرغوثي" أسطورة زرقاء اليمامة ل:« ارتباط قدرتها على رؤية البعيد، بقدرة الشاعر على استشعار الخطر القادم، وعدم تصديق الجمهور إلا بعد فوات الأوان. في الحالتين قادت المعرفة إلى موت محتم، وهكذا فعل البرغوثي حين وظف "زرقاء اليمامة" في أشارة خاطفة لوظيفتها في قصيدته "قبل الأوان" »[42]، يقول:

حِيْنَ لَا يَسْمَعُ اَلْرَاكِضُونَ إِلَى عَتَبَاتِ اَلْمَهَالِكِ

أَجْرَاسَنَا

حِيْنَ يَمْشِيْ اَلْهَلَاكُ إِلَيْنَا

وَنَحْسِبُهُ شَجَرًا مَاشِيًا[43]

42 حصة البادي: التناص في الشعر العربي الحديث البرغوثي نموذجا دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2009م،ص 136.

43 مريد البرغوثي: طال الشتات، ص 48.

عبر هذه الأبيات الشعرية من قصيدة "البرغوثي"، نجده قد ربط واقعه الحالي الذي يعيشه بأحداث أسطورة زرقاء اليمامة، فعدم الإصغاء أدى بالشاعر وأبناء بلده إلى الهاوية والاغتراب.

كما وظف "البرغوثي" العديد من الرموز الدينية في شعره للإشارة إلى حالة الاغتراب التي يعاني منها، لعل من أهم هذه الرموز المسيح عيسى عليه السلام، لذلك «يمكن حصر توظيف البرغوثي للمسيح في ثلاثة محاور هي:

أ التقاط جوانب العذاب في شخصيته

ب التركيز على الصلب في تصوير النص المسيحي

ج التركيز على الخيانة والغدر من بعض تلامذته»[44]، حيث عمل على التركيز أكثر بربط عذابه بعذاب المسيح، يقول في قصيدته لي قارب قرب البحر:

قُلْ إِنَنِيْ اَلْيَأْسُ اَلْفَصِيحْ

قُلْ إِنَنِيْ اَلْخَطَأُ اَلْصَحِيحْ

قُلْ إِنَنِي وَلَدٌ وَكَفُّ اَلْمَوْتِ مَلْعَبُهُ اَلْفَسِيحْ

قُلْ إِنَنِيْ مَزْجٌ عَصِيٌّ بَيْنَ بَارُودِ اَلْخَنَادِقِ وَاَلْمَسِيحْ[45]

44 حصة البادي: التناص في الشعر العربي الحديث البرغوثي نموذجا ص 129.

45 مريد البرغوثي: طال الشتات، ص 103.

حضور المسيح عليه السلام في شعر "البرغوثي" له دلالة قوية في بيان الحالة النفسية المغتربة والضائعة التي يتعايش معها، حيث عمل هذا الشاعر على تكرار فعل الأمر (قل) للاعتراف بشدة يأسه وعذابه لاغترابه عن وطنه.

4 الاغتراب والتشكيل الفني في شعر مريد البرغوثي:

شكلت كل من الصورة الشعرية واللغة الشعرية في مختلف الأعمال الشعرية "للبرغوثي" لوحة استطاع من خلالها رسم معاناة نفسيته المغتربة والمعذبة، وهذا ما سنعمل على توضيحه من خلال ما يلي:

أ الاغتراب على مستوى الصورة الشعرية:

وضحت الصوَّر الشعرية في مختلف قصائد "البرغوثي" مشاعره الحزينة وأوضاعه المغتربة، باعتبارها «تركيبة وجدانية تنتمي في جوهرها إلى عالم الوجدان أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع»[46]، وعليه قد عملت الصورة الشعرية على بلورة النزعات الاغترابية للشاعر، وهذا سنبينه من خلال ما يلي:

الصورة الحسية:

استخدم "البرغوثي" العديد من الصوَّر الحسية التي مثلت أحد أهم معالم تجربته الشخصية، ليوحي لنا إلى المعاناة والألم والاغتراب الذي عانى منه بغيابه عن وطنه، ومن أهم هذه الصور ما يلي:

46 محمد الولي: الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1990م، ص 166.

*** الصورة البصرية:**

تعتبر الصورة البصرية إحدى الوسائل المعبرة عن اغتراب "البرغوثي" في منفاه، خاصة تلك التي يوظف فيها اللون الأسود الذي شكل علامة دالة على توتره واضطرابه ورؤيته المأساوية للحياة جراء هذا البعد، يقول في قصيدته أيقظوه:

وَمِنْ عَتْمَةِ اَلْقَلْبِ[47]

تبين هذه الصورة الشعرية نفسية "البرغوثي" المعذبة في المنفى، حيث أضاف إلى القلب لون العتمة والظلمة والسواد كناية عن العذاب والاغتراب، وعليه قد ساهمت هذه الكناية في رسم الجو الاغترابي النفسي الذي عانى منه هذا الشاعر.

*** الصورة السمعية:**

احتوت الأعمال الشعرية "للبرغوثي" على العديد من الصوَّر السمعية المعتمدة على الصوت بالدرجة الأولى، لتشكل لنا الحالة النفسية المجروحة لهذا الشاعر، يقول في قصيدته أبو منيف:

صَيْحَاتُ غُرْبَتِنَا تُوَزِّعُ جَمْرَهَا[48]

وظف "البرغوثي" في قوله الشعري الاستعارة للإفصاح عن نفسيته الحزينة والمغتربة التي يكويها جرح الفراق والبعد، حيث أسند الفعل (صاح) إلى الاسم (الغربة)

47 مريد البرغوثي: طال الشتات، ص 74.

48 المصدر نفسه، ص 36.

مستعيرًا بها على أنها (إنسان)، لتكوّن لنا هذه الصورة الحالة اللامتوازنة لنفسية الشاعر المحروقة لرؤية وطنها.

ب تجليات الاغتراب على مستوى اللغة الشعرية:

عملت اللغة الشعرية على بيان عمق تجربة حياة الشاعر في المنفى خاصة الجانب المؤلم منها، وهذا ما أفصحت عنه مختلف الأعمال الشعرية "للبرغوثي"، وعليه قد احتفلت لغة الشاعر الشعرية على العديد من الألفاظ الدالة على اغترابه وعنائه النفسي، وهذا ما سنوضحه عبر الحقول الآتية:

حقل المعاناة:

أدت الأحداث المؤلمة التي عاشتها نفس "البرغوثي" إلى الانفصام والانعزال عن كل ما يحيط به، وهذا نتيجة للمعاناة التي ألحقها الكيان الصهيوني بنفسيته، حيث وضح المعجم الشعري له هذه المعاناة واللآلام في العديد من قصائده من بينها: أبو منيف، أيقظوه، أنتِ وأنا، قبل الأوان، لي قارب في البحر، ولعل أهم القصائد التي أشارت ألفاظها إلى جرحه وألمه النفسي قصيدة لي قارب في البحر، وهذا ما تفصح عنه معطيات هذا الجدول:[49]

الألفاظ الدالة على المعاناة	المعذّب مظلومٌ الجحيم اليأس الموت التبعثر انهماك الحزين جمر فاجع دمعتها نزف.

49 مريد البرغوثي: طال الشتات، ص 101 103 104 105.

تنقل لنا ألفاظ هذا الجدول الأوجاع النفسية "للبرغوثي"، كاشفا عن عذابه وتفجعه لبعده عن وطنه، فكل هذه الألفاظ تضعنا أمام الصورة الحقيقية للحياة الكئيبة لهذا الشاعر لاجئا ومغتربا في وطن الآخرين وهذا ما زاد من يأسه وألمه النفسي.

حقل الحنين:

زاد الغياب لمدة طويلة عن الوطن من شوق وحنين "البرغوثي" إلى "فلسطين"، وقد عبر عن هذا الحنين في قصائد منها: باب العامود، غُرفُ الروح، أضع اليد اليمنى على الخدِّ الأيمن، رجل، طال الشتات، وعليه احتوت قصيدة طال الشتات على ألفاظ دالة على هذا الشعور، وهذا ما سنعمل على بيانه في الجدول الأتي:[50]

الألفاظ الدالة على الحنين	أشواقنا حنين صراخ بكى جمرته تحرقه ناديتها دموعي كابدته.

يوضح هذا الجدول الحالة الوجدانية المعذبة للشاعر نتيجة للبعد والغياب عن الوطن لسنوات طويلة، مستحضرا في شعره ألفاظ تحيلنا إلى مدى شوقه وحنينه إليه.

خلاصة القول منع الاستعمار الصهيوني الشاعر الفلسطيني "مريد البرغوثي" من العودة إلى "فلسطين"، ليتذوق أصناف العذاب في المنفى، فقد طال شتاته ليعود بعد مدة زمنية طويلة لبلده، لكن قد شكل فعل العودة اغترابا حقيقيا بالنسبة له، فقد وجد كل في بلده لحقه التغيير داخلا في دوامة الاغتراب النفسي، كما شكلت القرارات السياسية ظلما

50 مريد البرغوثي: طال الشتات، ص 85 88 89 92 95.

في حقه سواء في وطنه أو في وطن الغير مما نجم انفصامه عنها، وقد استدعى رموز قديمة لتعبر عن حياته المعذبة، كما عمل على الكشف عن حالته النفسية الحزينة عبر كل من الصوَّر الشعرية واللغة الشعرية محيلا إلى مشاهد تدل على اغترابه.

تركيب بين التجربتين الشعريتين:

بعد محاولتنا لإنجاز كل من المبحثين المتعلقين بظاهرة الاغتراب عند كل من الشاعرين "عز الدين المناصرة" و"مريد البرغوثي"، يمكننا وضع مقارنة بسيطة لرصد أهم جوانب الاغتراب عندهما:

ينتمي كل من "عز الدين المناصرة" و"مريد البرغوثي" إلى القطر الفلسطيني، تألما لما فعله الاحتلال الصهيوني لبلدهم، والذي أجبرهما على ترك موطنهم، حيث منع "المناصرة" من دخول أرض "فلسطين" لعاني من غربته المكانية، أما "البرغوثي" بعد سنوات من الغياب والتي قدرت بثلاثين سنة عاد إلى أرض "فلسطين" لتشتد عنده وطأة الاغتراب المكاني أكثر فأكثر عندما وجد الذي كان يألفه في موطنه قد تغير ولم يعد كما كان عليه.

دخل كل من الشاعرين في دوامة الاغتراب النفسي، فقد شعرا بالألم والعناء في أرض ليست بأرضهم.

عكست تجربة المنفى الحالة الوجدانية المعذبة والمغتربة لكل من "المناصرة" و"البرغوثي"، إلا أن "المناصرة" عاش في شقاء وضياع متنقلا بين أماكن المنفى أكثر من "البرغوثي"، لأن هذا الأخير قد أتيحت له الفرصة إلى دخول أرض "فلسطين".

شكل الرمز بمختلف أنواعه الديني والتاريخي والأسطوري عالم نهل منه كل من الشاعرين للدلالة على وضعيتهما المغتربة.

عمد كل من الشاعرين على ذكر المكان بنوعيه الذي اغتربوا عنه والذي اغتربوا فيه في مختلف قصائدهم الشعرية، وهذا ما يوضحه الجدول التالي:[51]

الشاعر	البلدان الأجنبية	البلدان العربية	الخيمة والمنفى	فلسطين	القارات	المجموع
عز الدين المناصرة	٧٠	٢٥٦	٩١	٣١٧	١	٧٣٥
مريد البرغوثي	٢٩	٣٧	٤٦	٣٨	٣	١٥٣

انطلاقا من الجدول يتضح أن "المناصرة" كان أكثر ذكرا للأماكن في شعره من "البرغوثي"، وهذا يدل على معاناته في المنافي متنقلا بين العديد من المواطن.

شكلت الصورة الشعرية بمختلف أنواعها واسطة لبيان تجربة المعاناة التي عاشها الشاعرين، لتشخيص حالة الاغتراب لكليهما.

51 إبراهيم نمر موسى: ذاكرة المكان وتجلياتها في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة عالم الفكر، مج 35، ع 4، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2007م، ص 66.

كشف المعجم الشعري لكل من الشاعرين عن اغترابهما خاصة المكاني والنفسي، ويظهر ذلك باستعمالهما كل من ألفاظ (الجرح، اليأس، الحرقة، البكاء، الحنين...)، كما أظهر معاناتهما في المنفى بشكل واضح من خلال سردهما للأوجاع التي تكبدتهما فيه.

خاتمة

في نهاية مطاف هذا البحث توصلنا إلى جملة من النتائج تمثلت فيما يلي:

ظاهرة الاغتراب قديمة قدم ظهور الإنسان في هذا الوجود، نجمت عن اختلال التوازن في منظومة الحياة بمختلف جوانبها، وهذا ما دفع به إلى عدم الشعور بالأمان أخذا طريقه نحو الانعزال، حيث تحمل هذه الظاهرة معاني الانسلاخ، الاستلاب، الانفصال.

عمل الباحثون على رسم مسار لظهور مصطلح الاغتراب، حيث قسم إلى ثلاثة مراحل: مرحلة ما قبل هيجل، المرحلة الهيجيلية، مرحلة ما بعد هيجل، مقدمين تصورهم الخاص في نهاية هذه المسارات والمتمثل في سلبية هذه الظاهرة الناجمة عن الضغوطات الممارسة على الأفراد.

لم تنشأ ظاهرة الاغتراب من العدم، بل دفعتها أسباب عديدة إلى الظهور منها: نفسية، اجتماعية، سياسية وغيرها،

ترتب عن ظاهرة الاغتراب ملامح المعاناة الحقيقية للفرد، فأصبح متصفا بمظاهر العجز، اللامعنى، العزلة الاجتماعية، التشيؤ، التمرد.

تنوعت أنماط الاغتراب بين دينية ونفسية ووجودية واجتماعية واقتصادية وسياسية ومكانية، جاعلة من الذات الإنسانية رهينة للعزلة والعذاب النفسي، والذي لا سبيل للتخلص منهما.

تعود ظاهرة الاغتراب في الشعر العربي القديم إلى العصور الأربعة القديمة الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي، مشكلة رؤية مسايرة لمآسي وأحزان الشاعر المغترب

المتعرض لأصناف الفقد والحرمان والظلم، حيث أصبح أسير هذه الظاهرة التي أحاطت بجميع نواحي حياته.

تجسدت ظاهرة الاغتراب في الشعر العربي الحديث بمختلف حركاته الشعرية مدرسة الديوان ومدرسة المهجر ومدرسة أبولو، حيث ارتبط حضورها بأسباب مختلفة المتمثلة في الهجرة وفقدان الحبيب.

شكلت ملامح الاغتراب علامة مميزة في مختلف التجارب الشعرية العربية المعاصرة، والذي يدخل ضمن دوافع ظهوره غياب الحبيب والظروف الاجتماعية القاسية والحرمان من الوطن والوقوف أمام الموت.

أجبر الكيان الصهيوني كل من "عز الدين المناصرة" و"مريد البرغوثي" على ترك وطنهم "فلسطين"، متذوقين ألم الانسلاخ عنه، حيث استطاع "البرغوثي" العودة إلى أرض "فلسطين" بعد غياب طويل ليجد كل شيء تغير وهذا ما زاد من شدة اغترابه.

أحلتنا مختلف الأعمال الشعرية لكل من "عز الدين المناصرة" و"مريد البرغوثي" على الحزن الذي تكبدهما نتيجة الحرمان من الوطن.

عمل كل من "المناصرة" و"البرغوثي" على تصوير مشاهد من حياتهم البائسة في المنفى، معانيان من الضياع والتشرد، وهذا يعود إلى نهب الاستعمار الصهيوني لأرض وطنهم.

وظف كل من الشاعرين رموز دينية وتاريخية وأسطورية في أعمالهم الشعرية، قصد بيان حجم معاناتهما في أرض ليست بأرضهم.

رسمت الصورة الشعرية التي وظفها "المناصرة" و"البرغوثي" ملامح الشكوى والأنين في الغربة، حيث اختلجت نفسيهما مشاعر الشوق والحنين إلى الوطن اللذين حرما من العودة إليه.

أفصح المعجم الشعري لكل من الشاعرين عن مدى الألم الذي التف حول روحيهما، نتيجة للظلم الذي مارسه الكيان الصهيوني عليهما.

ملحق

1 نبذة حول حياة الشاعر عز الدين المناصرة:

ولد في (محافظة الخليل) بفلسطين الوسطى، بتاريخ (1964/4/11م) بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، لأبوين كنعانيين فلسطينيين (عثمانيين).[1]

درس حتى الصف الثاني إعدادي بمدرسة بني نعيم الإعدادية، ودرس الصف الثالث بمدرسة بور سعيد في الخليل، ثمّ درس الصف الأول ثانوي بمدرسة ابن رشد في الخليل ثم درس الصفين: الثاني والثالث الثانوي بمدرسة الحسين بن علي الثانوية في الخليل. وحصل على الشهادة الثانوية العامة (التوجيهي) صيف 1964م.[2]

درس اللغة العربية والعلوم الإنسانية في (كلية دار العلوم، جامعة القاهرة) في الستينات، وأكمل دراسته العليا لاحقاً، وحصل عل شهادة التخصص في الأدب البلغاري الحديث، ثمَّ

1 عز الدين المناصرة: مملكة فلسطين الأدومية دولة الزيادنة الفلسطينية، الصايل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2012م، ص 231.

2 عباس المناصرة: أرشيف أخضر الشاعر العربي الكبير عز الدين المناصرة، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2008م، ص 13.

حصل على درجة الدكتوراه (Ph. D) في النقد الحديث والأدب المقارن، (جامعة صوفيا)، عام 1981م.

عمل صحفياً ومذيعاً في الفترة (1970م 1982م) في الأردن، وفي منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت.

عمل أستاذا للأدب المقارن، والنقد الحديث، ونظرية الأدب في (جامعتي: قسنطينة، وتلمسان) بالجزائر (1983م 1991م). ثم مؤسساً ورئيساً لقسم اللغة العربية وآدابها، (جامعة القدس المفتوحة)، (1991م 1994م). ثمَّ عميداً لكلية العلوم التربوية (وكالة الغوث الدولية (الأونروا) عمّان)، في العام الجامعي (1994م 1995م).

أُنتخب ثلاث مرّات، أميناً عاماً للرابطة العربية للأدب المقارن (1984م 1986م 1989م). وشارك في المؤتمر العالمي للأدب المقارن، باريس، 1985م، وهو عضو في الجمعية العالمية للأدب المقارن.

يعمل منذ أيلول 1995م في (جامعة فيلادلفيا)، عمّان، أستاذاً للنقد الحديث والأدب المقارن، وعمل فيها رئيساً لقسم العلوم الإنسانية، واللغات الأجنبية، ورئيسا لقسم اللغة العربية وآدابها، ومساعداً لعميد كلية الآداب والفنون. وحصل على جائزة (التفوق الأكاديمي، والتميّز في التدريس)، تّموز 2005م. ثمَّ حصل على (درجة أستاذ) في أكتوبر 2005م.[3]

3 عز الدين المناصرة: علم التناص اللغوي المقارن (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2006م، ص 459.

أعماله الشعرية:

1 يا عنب الخليل، القاهرة، 1968م.

2 الخروج من البحر الميت، بيروت، 1969م.

3 مذكرات البحر الميت، بيروت، 1969م قصائد نثرية.

4 قمر جرش كان حزيناً، بيروت، 1974م.

5 بالأخضر كفنّاه، بيروت، 1976م.

6 جفرا، بيروت، 1981م.

7 كنعانياذا، بيروت، 1983م قصائد نثرية.

8 حيزية، عاشقةُ من رذاذ الواحات، عمّان، 1990م.

9 رعويَّات كنعانية، قبرص، 1991م.

10 لا أثق بطائر الوقواق، فلسطين، 2000م.[4]

4 عز الدين المناصرة: علم التناص اللغوي المقارن (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي)، ص 460.

2 نبذة حول حياة الشاعر مريد البرغوثي:

ولد في 7 يوليو 1944م في دير غسانة قرب رام الله، في الضفة الغربية تلقى تعليمه في مدرسة رام الله الثانوية، سافر إلى مصر العام 1963م حيث التحق بجامعة القاهرة وتخرج في قسم اللغة الإنجليزية وآدابها العام 1967م وهو العام الذي احتلت فيه إسرائيل الضفة الغربية ومنعت الفلسطينيين الذين تصادف وجودهم خارج البلاد من العودة إليها. وعن هذا الموضوع كتب مريد البرغوثي في كتابه الضائع الصيت رأيت رام الله "نجحت في الحصول على شهادة تخرّجي وفشلت في الحصول على حائط أعلِّق عليه شهادتي". ولم يتمكن من العودة إلى رام الله إلا بعد ثلاثين عامًا من التنقل بين المنافي العربية والأوروبية، وهي التجربة التي صاغها في تجربته الروائية تلك.

أعماله الشعرية:

الطوفان وإعادة التكوين (دار العودة، بيروت، 1972م).

فلسطيني في الشمس (دار العودة، بيروت، 1974م).

نشيد الفقر المسلّح (منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، 1976م).

سعيد القروي وحلوة النبع (بيروت، 1978م).

الأرض تنشر أسرارها (دار الآداب، بيروت، 1987م).

قصائد الرصيف (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980م).

طال الشتات (دار الكلمة، بيروت، 1987م).

عندما نلتقي (دار الكرمل، عمّان، 1990م).

رنة الإبرة (1993م).

القصائد المختارة (الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1994م).

ليلة مجنونة (الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1996م).

منطق الكائنات (دار المدى، دمشق، 1996م).

منتصف الليل الصادر عن دار رياض الريس في عام 2005م.[5]

5 مريد البرغوثي: المعرفة. 2019/5/2م. 11:43. http://m. marefa.org

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

عز الدين المناصرة: الأعمال الشعرية الكاملة، ج 1، جمعية البيت للثقافة والفنون «منشورات البيت»، الجزائر، د ط، 2009م.

عز الدين المناصرة: الأعمال الشعرية الكاملة، ج 2، جمعية البيت للثقافة والفنون «منشورات البيت»، الجزائر، د ط، 2009م.

مريد البرغوثي: طال الشتات، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

مريد البرغوثي: قصائد مختارة، وزارة الثقافة الفلسطينية بالتعاون مع دار الفاروق للثقافة والفكر والعلوم والآداب، نابلس، د ط، 1996م.

ثانيا: المراجع:

أ البحوث والدراسات:

إبراهيم عوض: فن الشعر العربي الحديث تحليل وتذوق، المنار للطباعة، القاهرة، د ط، 2006م.

إجلال محمد سرى: الأمراض النفسية والاجتماعية، عالم الكتب نشر. توزيع. طباعة، القاهرة، ط 1، 2003م.

أحمد علي الفلاحي: الاغتراب في الشعر في القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2013م.

إقبال محمد رشيد صالح الحمداني: الاغتراب التمرد قلق المستقبل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2011م.

ثائر سمير حسن الشمري، حسن عبد الهادي الدجيلي: بحوث في الشعر العربي، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2014م.

جابر قميحة: أدبيات الأقصى والدم الفلسطيني، مركز الإعلام العربي، مصر، ط 1، 2001م.

حسن حماد: الإنسان المغترب عند إريك فروم، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، د ط، 2005م.

حسن عبد الجليل يوسف: الأدب الجاهلي "قضايا، وفنون، ونصوص"، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط 1، 2007م.

حصة البادي: التناص في الشعر العربي الحديث البرغوثي نموذجا دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2009م.

حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 2006م.

حليم بركات: غربة الكاتب العربي، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط 1، 2011م.

دبلة عبد الجيد أحمد خولة: دور التصدع الأسري المعنوي في ظهور الاغتراب النفسي لدى المراهق، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2015م.

سعاد عبد الوهاب عبد الرحمان: الاغتراب في الشعر الكويتي، حوليات كلية الآداب، الحولية الرابعة عشر، جامعة الكويت، الكويت، د ط، 1994م.

سليم ريدان: المغرب في ضمير أدبائه، دار سحر للنشر، المغرب، د ط، 2005م.

سليمان عبد الواحد إبراهيم: الشخصية الإنسانية واضطراباتها النفسية رؤية في إطار علم النفس الإيجابي، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2014م.

سيد بحراوي: علم اجتماع الأدب، دار نوبار للطباعة، القاهرة، د ط، 1992م.

صابر عبد الدايم: أدب المهجر "دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية، في الأدب المهجري"، دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1993م.

صالح أبو إصبع: الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1979م.

صلاح نيازي: الاغتراب والبطل القومي، مؤسسة الأنتشار العربي، بيروت، ط 1، 1999م.

عباس المناصرة: أرشيف أخضر الشاعر العربي الكبير عز الدين المناصرة، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2008م.

عبد العزيز الموافى: قراءة في الأدب الإسلامي والأموي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 6، 2007م.

عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، المنيرة، القاهرة، د ط، 1988م.

عبد القادر عبد الحميد زيدان: التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، د ط، 2002م.

عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2003م.

عبد الله أحمد المهنا: نازك الملائكة دراسات في الشعر والشاعرة، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، ط 1، 1985م.

عبد الله التطاوى: أشكال الصراع في القصيدة العربية في العصر الجاهلي، ج 1، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، د ط، 2002م.

عبد الله التطاوى: القصيدة العباسية قضايا واتجاهات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، د ت.

عبد الله بن أحمد الفيفي: مفاتيح القصيدة الجاهلية، عالم الكتب، إربد، الأردن، ط 1، 2014م.

عبد المنعم تليمة: مقدمة في نظرية الأدب، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د ط، 1997م.

عبد الوهاب المسيري، فتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، ط 1، 2003م.

عبده بدوى: الغربة والاغتراب.. والشعر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 1998م.

عبلة الرويني: سيرة أمل دنقل الجنوبي، دار سعاد الصباح، الكويت، ط 1، 1992م.

عز الدين المناصرة: بالحبر الكنعاني نكتب لفلسطين وبالدم أيضا (الثورة الفلسطينية 1964م 1994م)، الصايل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2012م.

عز الدين المناصرة: علم التناص اللغوي المقارن (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2006م.

عز الدين المناصرة: مملكة فلسطين الأدومية دولة الزيادنة الفلسطينية، الصايل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2012م.

عزيز السيد جاسم: الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ط، 1985م.

على عشرى زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 1997م.

على عشرى زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، ط 4، 2002م.

على عشرى زايد: قراءات في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 1998م.

عمر أحمد الربيحات: الأثر التوراتي في شعر محمود درويش، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د ط، 2006م.

عمر الدقاق: شعراء العصبة الأندلسية في المهجر، منشورات دار الشرق، بيروت، ط 2، 1978م.

عمر الدقاق: ملامح الشعر المهجري، منشورات جامعة حلب، سوريا، د ط، 1978م.

فاضل أحمد القعود: جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2012م.

فاطمة حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 1، 1997م.

فالح عبد الجبار: الاستلاب هوبز، لوك، روسو، هيغل، فيورباخ، ماركس، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط 1، 2018م.

فالح عبد الجبار:المقدمات الكلاسيكية لمفهوم الاغتراب، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ط 1، 1991م.

فيصل عباس: الاغتراب الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، دار المنهل اللبناني، لبنان، د ط، د ت.

كاميليا عبد الفتاح: الشعر العربي الحديث دراسة نقدية تحليلية لظاهرة الاغتراب، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، د ط، 2008م.

كايد هشام:الشباب العربي في المهجر، مراجعة: همام غصيب، منتدى الفكر العربي، عمان، الأردن، ط 1، 2008م.

لزهر مساعدية: نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2013م.

مجاهد عبد المنعم مجاهد: جماليات الشعر العربي المعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1997م.

محمد الولي: الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1990م.

محمد حسن غانم: التحليل النفسي للأدب دراسة نفسية في ملحمة الحرافيش لجيب محفوظ، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط 1، 2004م.

محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 1999م.

محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، د ت.

محمود رجب:الاغتراب "سيرة مصطلح"، دار المعارف، القاهرة، ط 4، 1993م.

مريد البرغوثي: رأيت رام الله، تقديم: إدوارد سعيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 4، 2011م.

مي يوسف خليف: ظاهرة الاغتراب عند شعراء المعلقات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، د ت.

ميلاد عادل جمال المولى: السرد عند شعراء القصائد العشر الطوال، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2013م.

نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر الاتباعية الرومانسية الواقعية الرمزية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1984م.

نظمي عبد البديع محمد: أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 1976م.

نوزاد حمد عمر: الغربة في شعر كاظم السماوي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2013م.

وابل نعيمة: الاغتراب عند كارل ماركس، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2013م.

وليد بوعديلة: شعرية الكنعة (تجليات الأسطورة في شعر عز الدين المناصرة)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2009م.

يحى الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع،عمان، الأردن، ط 1، 2008م.

يحى العبد الله: الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2005م.

يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1959م.

يوسف رزوقة: عز الدين المناصرة شاعر المكان الفلسطيني الأول، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2008م.

ب الرسائل الجامعية:

آلاء أحمد نعيم قرمان: سرديات رام الله في الأدب الفلسطيني (فاروق وادي ومريد البرغوثي نموذجا)، إشراف: عادل الأسطة، أطروحة مقدمة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، (2015م 2016م)، تاريخ المناقشة: 2015/9/20م.

ج المجلات والدوريات:

إبراهيم منصور الياسين: الرموز التراثية في شعر عز الدين المناصرة، مجلة جامعة دمشق، مج 26، ع 3 + 4، دمشق، سوريا، 2010م.

إبراهيم نمر موسى: تجليات مقدسية في الشعر الفلسطيني المعاصر (دراسة أسلوبية)، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية الاجتماعية، مج 10، ع 2، الإمارات، 2013م.

إبراهيم نمر موسى: ذاكرة المكان وتجلياتها في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة عالم الفكر، مج 35، ع 4، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2007م.

أسماء ربحي العرب، علاء زهير عبد الجواد الرواشدة: الاغتراب الاجتماعي لدى الشباب الأردني في عصر العولمة، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، مج 9، ع 2، جامعة الأردن، الأردن، 2016م.

حسام التميمي: الخليل في شعر المناصرة، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، مج 16، ع 1، جامعة القدس، فلسطين، 2002م.

حسن جمعة: الاغتراب في حياة المعري وأدبه، مجلة جامعة دمشق، مج 27، ع 1 + 2، دمشق، 2011م.

حيدر محمد جمال سيد أحمد: إيقاع الألوان في شعر عز الدين المناصرة، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، مج 20، ع 1، جامعة دمشق، دمشق، 2012م.

قيس النوري: الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، مج 10، ع 1، وزارة الأعلام، الكويت، 1979م.

محمود سليم هياجنة، أحمد حسن الحسن: لغة الفردية والمكان؛ لامية الشنفرى نموذجا، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 43، ع 2، جامعة الأردن، الأردن، 2016م.

ملا إبراهيمي، صديقة جعفري نزاد: مظاهر النوستاليجيا في شعر امرئ القيس، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، ع 1، جامعة بابل، طهران، 2018م.

د الدواوين الشعرية:

أحمد بن عبد الله أبو علاء المعري: ديوان لزوم ما لا يلزم، حرره وشرح تعابيره وأغراضه: كمال الياجزي، مج 2، دار الجبل، بيروت، د ط، 2001م.

أحمد زكي أبو شادي: الشعلة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة، د ط، 2012م.

الحسن أبو نواس: الديوان، رواية: الصولى أبو بكر محمد بن يحى، تح: بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، الإمارات، ط 1، 2010م.

الشريف الرضي: الديوان، جمع: إحسان عباس، مج 1، دار الصادر، بيروت، د ط، 1958م.

الشريف الرضي: الديوان، جمع: إحسان عباس، مج 2، دار الصادر، بيروت، د ط، 1958م.

امرؤ القبس: الديوان، ضبطه وصححه: مصطفى عبد الشافي، شرح: حسن السندوبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 5، 2004م.

أمل دنقل: الأعمال الشعرية الكاملة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 3، 1987م.

بدر شاكر السياب: الديوان، مج 2، دار العودة، بيروت، لبنان، ط 2016م.

جبران خليل جبران: المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، الشعر، جمع وتقديم: أنطوان القوال، دار الجبل، بيروت، ط 1، 1999م.

عباس محمود العقاد: ديوان من الدواوين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د ط، 2012م.

عروة بن الورد: الديوان، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، 1998م.

عنترة بن شداد: الديوان، تح: محمد سعيد مولوى، المكتب الإسلامي، القاهرة، د ط، 1964م.

قيس بن الملوح: الديوان، رواية: أبي بكر الوالبي، دراسة وتعليق: يسرى عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1999م.

محمود درويش: الديوان، مج 2، دار العودة، بيروت، ط 1، 1994م.

نازك الملائكة: الديوان، مج 2، دار العودة، بيروت، د ط، 1997م.

ه المعاجم اللغوية:

أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ج 4، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 1979م.

الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، تح: عبد الحميد هنداوي، مج 3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2013م.

جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1979م.

جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب، للنشر، تونس، د ط، 2004م.

جمال الدين بن هشام بن منظور: لسان العرب، ج 10، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 2، 1997م.

جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د ط، 1982م.

و القواميس والموسوعات:

أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، ج 1، منشورات عويدات، بيروت، ط 2، 2001م.

ز المراجع المترجمة:

إدوارد سعيد: تأملات حول المنفى، تر: ثائر ديب، دار الآداب للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط 2، 2007م.

باترك ماسترسن: الإلحاد والاغتراب بحث في المصادر الفلسفية للإلحاد المعاصر، تر: هبة ناصر، مراجعة: إبراهيم الموسوي، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية العتبة العباسية المقدسة، د م، ط 1، 2017م.

جان جاك روسو: العقد الاجتماعي، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د ط، 2012م.

ريتشارد شاخت: الاغتراب، تر: كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1980م.

ح المواقع الإليكترونية:

مريد البرغوثي: المعرفة. https://m. marefa. org

مريد البرغوثي: حياتي الشخصية شكلتها قرارات سياسية الرأي

https://www. Alraimedia. com

فهرس الموضوعات

بسملة

مقدمة.....أ د

الفصل الأول: الاغتراب مفهومه، مؤثراته، أنماطه.

تمهيد.....6

المبحث الأول: ماهية الاغتراب.....7

1 الاغتراب لغة.....7

2 الاغتراب اصطلاحا.....10

3 مسارات مفهوم الاغتراب.....10

4 الاغتراب والاستلاب.....17

5 الغربة والاغتراب.....18

المبحث الثاني: مؤثرات الاغتراب.....19

1 مؤثرات اجتماعية.....19

2 مؤثرات نفسية 20

3 مؤثرات سياسية.....21

4 مظاهر الاغتراب.....22

5 مآلات الاغتراب.....28

المبحث الثالث: أنماط الاغتراب.....29

1 الاغتراب النفسي.....29

2 الاغتراب الوجودي.....30

3 الاغتراب الاجتماعي.....31

4 الاغتراب الديني.....31

5 الاغتراب الاقتصادي.....32

6 الاغتراب السياسي.....33
7 الاغتراب المكاني.....34
الفصل الثاني: ظاهرة الاغتراب في الشعر العربي.
تمهيد.....36
المبحث الأول:الاغتراب في الشعر العربي القديم.....36
1 الاغتراب في الشعر الجاهلي.....37
2 الاغتراب في الشعر الإسلامي.....42
3 الاغتراب في الشعر الأموي.....44
4 الاغتراب في الشعر العباسي.....47
المبحث الثاني: الاغتراب في الشعر العربي الحديث.....51
1 الاغتراب في الشعر الرومانسي.....51
أ الاغتراب عند شعراء مدرسة الديوان.....52
ب الاغتراب عند شعراء مدرسة المهجر.....53
ج الاغتراب عند مدرسة أبولو.....55
المبحث الثالث: الاغتراب في الشعر العربي المعاصر.....57
1 الاغتراب في الشعر الحر.....57
أ الاغتراب في شعر نازك الملائكة.....57
ب الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب.....58
ج الاغتراب في شعر محمود درويش.....60
د الاغتراب في شعر أمل دنقل.....61
الفصل الثالث: تجليات الاغتراب بين عز الدين المناصرة ومريد البرغوثي.
تمهيد.....65

المبحث الأول: الاغتراب في شعر عز الدين المناصرة.....65
1 أنماط الاغتراب في شعر عز الدين المناصرة.....65
2 الفضاء الشعري وتجربة الاغتراب عند عز الدين المناصرة.....71
3 الرمز وأثره في تجربة الاغتراب عند عز الدين المناصرة.....72
4 الاغتراب والتشكيل الفني في شعر عز الدين المناصرة.....75
المبحث الثاني: الاغتراب في شعر مريد البرغوثي.....79
1 أنماط الاغتراب في شعر مريد البرغوثي.....79
2 الفضاء الشعري وتجربة الاغتراب عند مريد البرغوثي.....85
3 الرمز وأثره في تجربة الاغتراب عند مريد البرغوثي.....86
4 الاغتراب والتشكيل الفني في شعر مريد البرغوثي.....88
تركيب بين التجربتين الشعريتين.....92
خاتمة.....96
ملحق 100
قائمة المصادر والمراجع.....106
فهرس الموضوعات.....119